

حقوق النساء في الإسلام

وأيضا يدخلون على الإسلام من ناحية أن الإسلام دين جاف وجامد يُريد أن يُجمد نصف المجتمع في « المرأة » . يُجمد نصف المجتمع بأنه لا يجعل للمرأة حركة في الحياة .

نقول لهم : والله أنتم أخطأتم . أنتم لم تفهموا الإسلام .

ويأتى بعد ذلك قوم ليدافعوا عن الإسلام ، فيحاولون أن يوجدوا في تصرفات رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُبرر التصرفات التي توجد للمرأة الآن في العصور الحديثة ، فكلما خرجت المرأة للعمل أو لأى شىء يقولون لك : وخرجت المرأة للجهاد وعملت كذا وعملت كذا وعملت كذا . ولم يضعوا كل حدث في مجاله وإطاره وضرورته .

فيقولون : خرجت للحرب حتى يبيحوا بذلك للمرأة أن تتجند ؛ وما دام المرأة تجندت تكون مثل الجنود! يقول لك : فلانة كانت . !

نقول له : يا أخى كانت : تُمرَض ، كانت : تداوى الجرحى ، وهذا لون من الاختلاط له نظير عندنا . لأن الاختلاط للضرورة حين يكون محوطا بشىء من العقيدة التي تحول عن مضار الاختلاط في الشرع فلا بأس .

في الحج : اختلطت المرأة بالرجل في الطواف وفي أعمال الحج كلها ، فقد تطوف وتجد امرأة أمامك أو بجوارك وأنت لا تدري .

ولكن قل لي بالله . . الرجل الذى جلس ينتظر طيلة حياته ليحج إلى بيت الله مرة واحدة في العمر ، يحاول أن يكفر بها خطاياها ويغسل بها ذنوبه ، أهو في هذا الوقت الذى جاء يستبرئ لدينه يفكر في امرأة!!

إننا كلنا جربنا أن الإنسان وهو في الحج بلا شعور وبلا حركة يجد

نفسه فى وسط أو بجوار النساء فى الطواف أو فى السعي وهو قد لا يشعر بهن .

إذن . . فالموقف نفسه لا يدع له مجالاً فى أن يفكر فيما يفكر فيه الرجل حين يجتمع مع امرأة فى مكان ما .

كذلك الحرب ، أنت تحتج بالحرب . هذه الحرب عملية فيها قتال ، فيها جراح ، فيها قتلى ، ومع ذلك ظلت المرأة تؤدى هذا الواجب ، وهي تحاول جاهدة أن لا تأخذ من الموقف أكثر من الضرورة فيه .

وهذه صفية رضي الله تعالى عنها ألم تذهب وتقتل الكافر الذى امتنع حسان بن ثابت أن ينزل ليقتله ، فلما قتله قالت لحسان : أنا قتلتك أنزل الآن فاسلبه - يعنى خذ سلبه : الغنيمة التى عليه - والله ما منعنى أن آخذ سلبه إلا أنه رجل .

فكانها قتلتك ؛ لأن القتل ممكن تقتله وهي بعيدة عنه ، وحين قُتل فقد الحس والحركة ، أما كان من الممكن للمقاتلة أن تذهب إليه لتأخذ منه ما معه ؟!

ومع أنه ميت تخرجت أن تذهب إليه لتسلبه وتأخذ سلبه ، وقالت لرجل : اذهب أنت ؛ لأنه سيلتصق به ويأخذ منه . . وهي لم تُبح لنفسها ذلك رضي الله تعالى عنها .

إذن . . فهي أخذت الضرورة بقدرها . إنما نحن نريد أن نجعل من الضرورة بقدرها ضرورة لا بقدرها ، ونأخذها على أنها قضية مسلم بها^(١) .

(١) هي الحسية النسبية الشريفة : صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيَّةُ ، عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . شَقِيقَةُ أُمِّدِ اللَّهِ وَأُمِّدِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ طَرَا « الْحَمْزَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » رضي الله تعالى عنه . وَأُمُّ حَوَارِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله تعالى عنهما وَأُمُّهَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ .
تَزَوَّجَهَا : الْحَارِثُ أَخُو أَبِي سُفْيَانَ بْنِ خَرْبٍ ، فَتَوَفَّيَ عَنْهَا .
وَتَزَوَّجَهَا : الْعَوَّامُ . . أَخُو سَيِّدَةِ النِّسَاءِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَةً =

وبعد ذلك يقولون لك : والمرأة كانت تعمل وتعمل مع من ؟!

= بَشَتْ حُوبِلْدَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا ، قَوْلَدَتْ لَهُ الزُّبَيْرَ ، وَالسَّائِبَ ، وَعَبْدَ الْكَعْبَةِ . وَهِيَ مِنْ الْمُهَاجِرَاتِ الْأَوَّلِ ، وَمَا أَعْلَمُ هَلْ أَسْلَمَتْ مَعَ خَمْرَةَ أُخِيهَا ، أَوْ مَعَ الزُّبَيْرِ وَلَدِيهَا . وَقَدْ كَانَتْ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فِي جِصْنِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ ، قَالَتْ : وَكَانَ حَسَّانُ مَعَنَا فِي الذَّرِئَةِ ، فَمَرَّ بِالْجِصْنِ يَهُودِيٌّ ، فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْجِصْنِ ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوِهِمْ . فَرَوَى : الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ [٢٤/٣١٩/٨٠٤] عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْخَلَ النَّسَاءَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ أَطْمًا مِنْ أَطَامِ الْمَدِينَةِ وَكَانَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رَجُلًا جَوَادًا فَأَدْخَلَهُ مَعَ النَّسَاءِ وَأَغْلَقَ الْبَابَ فَجَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَعَدَ عَلَى بَابِ الْأَطْمِ فَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنْزِلْ حَسَّانَ إِلَى هَذَا الْعَلَجِ فَاقْتَلَهُ فَقَالَ مَا كُنْتُ لَأَجْعَلَ نَفْسِي خَطَرًا لِهَذَا الْعَلَجِ فَأَنْزَرْتُ بِكَسَاءٍ وَأَخَذْتُ فَهَرًا فَنَزَلْتُ إِلَيْهِ فَقَطَعْتُ رَأْسَهُ . قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ [٦/١٣٧] رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرَجَّاهُ إِلَى عُرْوَةَ رَجُلًا صَاحِحًا ، وَلَكِنَّهُ مَرْسَلٌ . ذَكَرَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ [٦/١١٧-١١٨] عَنْ صَفِيَّةِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى أَحَدٍ جَعَلَ نِسَاءَهُ فِي أَطْمٍ يُقَالُ لَهُ : فَارَعٌ . وَجَعَلَ مَعَهُنَّ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَكَانَ حَسَّانُ يُطْلَعُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا شَدَّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ اشْتَدَّ مَعَهُ فِي الْحَصَنِ وَإِذَا رَجَعَ رَجَعَ وَرَاءَهُ قَالَتْ : فَجَاءَ أَنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَتَرَفَّقُوا أَحَدُهُمْ فِي الْحَصَنِ حَتَّى أَطْلَعَ عَلَيْنَا فَقُلْتُ لِحَسَّانٍ : قُمْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ فَقَالَ : مَا ذَاكَ فِي وَلَوْ كَانَ فِي لَكُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَرَبْتُ صَفِيَّةَ رَأْسَهُ حَتَّى قَطَعْتَهُ قَالَتْ : يَا حَسَّانُ قُمْ إِلَى رَأْسِهِ فَارْمِ بِهِ إِلَيْهِمْ وَهُمْ مِنْ أَسْفَلِ الْحَصَنِ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا ذَاكَ فِي . قَالَتْ : فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ فَرَمَيْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا : قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْنَا أَنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَكُنْ يَتْرَكُ أَهْلَهُ خُلُوفًا لَيْسَ مَعَهُمْ أَحَدٌ وَتَفَرَّقُوا . وَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ [٢٤/٣٢١/٨٠٩] وَالْأَوْسَطُ [٢٣٩] مِنْ طَرِيقِ أُمِّ عُرْوَةَ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهَا وَلَمْ أَعْرِفْهُمَا ، وَبَقِيَ رَجَّالُهُ ثِقَاتٌ . تَوَفَّيْتُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا سَنَةَ عَشْرِينَ ، وَهِيَ يَوْمَ تَوَفَّيْتُ بِنْتَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ، وَدَفَنَهَا بِالْبُقْعِ . وَفِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ [٩/٤١-٤٢] عَنْ عُرْوَةَ قَالَ : قَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَرْتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

لهف نفسي وبث كالمسلوب	أرقب الليل فعلة المحروب
من هموم وحسرة أرقطني	ليت أني سقيتها بشعوب
حين قالوا إن الرسول قد أمسى	وافقت منية المكتوب
حين جئنا لآل بيت محمد	فأشاب القذال مني مشيب
حين رأينا بيوته موحشات	ليس فيهن بعد عيش غريب
فعلاني لذاك حزن طویل	خالط القلب فهو كالمرعوب

يتكلمون عن أسماء رضي الله تعالى عنها ، يقولون إنها كانت تخدم فرس زوجها وتأتي له بالماء وتسقيه وتعمل له كل شيء . إنما كانت تعمل لمن ؟! تعمل لزوجها . ألا تعمل المرأة الآن والشرع يُقرها مع أبيها ، ومع زوجها ، ومع أولادها ، ومع محارمها ، ألا تعمل المرأة مع بنات جنسها^(١) ؟!

= وقالت أيضا :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكان بنا برار حيماً نبينا
لعمري ما أبكي النبي لموته
كان على قلبي لفقد محمد
أفاطم صلى الله رب محمد
أرى حسناً أيتمت وتركته
فدئى لرسول الله أمي وخالتي
صبرت وبلغت الرسالة صادقاً
فلو أن رب العرش أبقاك بيننا
عليك من الله السلام تحية

وقال : رواه الطبراني في المعجم الكبير [٢٤/ ٣٢٠/ ٨٠٦] وإسناده حسن .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية [٤/ ٦٨ ، ٦٩] : قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أختها حمزة بن عبد المطلب ، وهي أم الزبير عمة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين :

أسائلة أصحاب أحد مخافة
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة
فذاك ما كنا نرجي ونرتجي
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
على أسد الله الذي كان يدرها
فياليت ثلوي عند ذاك وأعظمي
أقول وقد أعلى النعمي عشبتي

هذه السيدة : صفية . فمن أنتم ؟

(١) هي السيدة الجليلة المجاهدة الصابرة المحتسبة : أسماء بنت أبي بكر الصديق خليل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده .

الذين يريدون ألا يحرموا المجتمع نشاط نصفه كما يقولون ؛ لماذا لا

= شقيقة : أم المؤمنين السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأحب النساء إليه .
 ووالدة عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنهما .
 يقال لها : ذات النطاقين ، وإنما سميت بذلك عام الهجرة حين شقت نطاقها وربطت به
 سفرة النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حين خرجا عامدين إلى المدينة .
 وأمها : قيلة . وقيل : قبيلة بنت عبد العزى من بني عامر بن لؤى .
 وقصتها في الهجرة النبوية الشريفة مشهورة إذ كانت تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباها
 بالطعام ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار ، ثم يتلوها عامر بن فهيرة بالغنم فيعفي آثارهما .
 أسلمت أسماء رضي الله تعالى عنها قديماً وهم بمكة في أول الإسلام ، وهاجرت هي
 وزوجها الزبير وهي حامل متم بولدها عبد الله ، فوضعت بقاء أول مقدمهم المدينة ، ثم
 ولدت الزبير بعد ذلك عروة والمنذر ، وهي آخر المهاجرين والمهاجرات موتاً .
 وكانت هي وأختها عائشة وأبوها أبو بكر الصديق ، وجدها أبو عتيق ، وابنها عبد الله ،
 وزوجها الزبير صحابين رضي الله عنهم .
 وقد شهدت اليرموك مع ابنها وزوجها ، وهي أكبر من أختها عائشة بعشر سنين .
 وقيل : إن الحجاج دخل عليها بعد أن قتل ابنها ، فقال : يا أماء ، إن أمير المؤمنين
 أوصاني بك ، فهل لك من حاجة ؟
 فقالت : لست لك بأم ، إنما أنا أم المصلوب على الشنية ، ومالي من حاجة ، ولكن
 أحدثك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج من ثقيف كذاب
 ومبير » ^(١) ، فأما الكذاب فقد رأيناه ، وأما المبير فلا أراك إلا إياه .
 فقال : أنا مبير المنافقين .
 وقيل : إن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما دخل معه عليها وابنها مصلوب ، فقال لها :
 إن هذا الجسد ليس بشيء ، وإنما الأرواح عند الله فاتقي الله واصبري .
 فقالت : وما يمنعني من الصبر ، وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني
 إسرائيل ؟
 وقيل : إنها غسلته وحنطته وكفنته وطيبته وصلت عليه ، ثم دفنته ، ثم ماتت بعده بأيام
 في آخر جمادى الآخرة .
 وقيل : عاشت بعده مائة يوم ، وهو الأشهر ، وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها
 سن ، ولم ينكر لها عقل رحمها الله .
 وقد روت عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث طيبة مباركة رضي الله عنها
 ورحمها . بتصرف عن البداية والنهاية للحافظ ابن كثير : [٣٨٢ / ٨] .

(١) رواه إسحاق بن راهويه [٢٢٣٣ / ١٢٣ / ٥] ، والطبراني في المعجم الكبير [٢١٤ / ٨١ / ٢٤] وذكره
 الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥٩ / ٧] وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

يجعلون للنساء معاً مجالاً في حرفهن ويكن هن العاملات وهن المشرفات وهن المديرات ولا يختلطوا؟! ما المانع من هذا؟! إذن.. فتريد أن ننتفع بالمرأة في مجالاتها وفي حدود مجالاتها .

زعموا أن الإسلام جاء ليحرم المجتمع من نشاط الجنس الآخر ، وبذلك تفقد حركة الحياة نصف المتحركين في الحياة! وأرادوا بذلك أن يستعدوا النساء المسلمات على دينهن ، وأن يجعلوا من المرأة المسلمة رأس حربة ليطعنوا بها كل مقومات الإسلام التي جاءت لتحفظ العرض على الناس جميعاً .

وقضية المرأة يجب أن تُدرس في إطار من الواقع التكويني الخُلقي قبل أن تبحث من الناحية الخُلقية .

فالتكوين الخُلقي للمرأة يجب حين نعرفه جيداً أن نقارن بين وظيفة المرأة في الإسلام وبين لياقة تلك الوظيفة بالتكوين الخُلقي لها . فإذا ما شئنا أن نبحث المسألة بحثنا لها أرضية الواقع .

نقول : المرأة نوع من جنس ، ومعنى أنها نوع من جنس أن هناك جنساً يجمعها هي والرجل ، هو جنس الإنسان .

والإنسان كما نعرفه ، في التعريف المنطقي : حيوان ناطق ؛ وناطق يعنى : مفكر ، ومفكر يعنى : له آلة يختار فيها بين البديلات .

وحركة الحياة لا تتطلب عملاً واحداً يعمل النوعان للجنس ، ولكنها جعلت لكل نوع مجاله .

وإذا ما نظرنا إلى المتحرك نجد أنه هو الذى يقوم بحركة ، والحركة دائماً تحتاج إلى زمان وإلى مكان ، يعنى : كل حركة لا بد لها من ظرف تحدث فيه . والظرف إما زمان وهو ظرف غير قار ، وغير قار : يعنى يكون مستقبلاً ، ثم يكون حاضراً ، ثم يكون ماضياً . هذا الزمن غير قار . والمكان ظرف قار . يعنى مكان ثابت .

الحدث يحتاج إلى الظرف القار وإلى الظرف غير القار . مادام الزمان والمكان ظرفان للحدث ، والحدث لابد أن يكون من متحرك ينفعل بالحدث .

فإذن هناك ثلاثة أشياء : متحرك ، وحركة ، والحركة تقتضي زمنا وتقتضي مكانا . ولو نظرنا إلى الوجود كله لوجدنا الزمن عندنا في تقسيمه العام ينقسم انقساما بينا بالآية : أى بالعلامة ، إلى ليل وإلى نهار . ثم ينقسم الليل إلى جزئيات والنهار إلى جزئيات ، إلا أن جزئيات النهار يجمعها قاسم مشترك هو الضوء . وجزئيات الليل يجمعها قاسم مشترك هو الظلمة . الضوء ابن الحركة ، والظلام ابن السكون . إذن . . فالمتحرك لابد له من زمان ولا بد له من مكان .

الزمان ينقسم إلى قسمين : قسم يتحرك فيه الإنسان ، وقسم يرتاح الإنسان فيه من الحركة . ولذلك جعله الله سكنا : ﴿ وَجَعَلَ آيَاتَ سَكَنًا ﴾ ، والسكن لا يكون إلا عن تحرك . فالليل سكن والنهار حركة ، كأننا نسكن بالليل الذي جعله الله للسكن ليمكننا أن نستقبل نهار الغد أى الذى يعقب ذلك الليل بالحركة . فإذا لم نسكن لا نستطيع أن نتحرك ، إذن . . فالسكون له مهمتان :

الأولى : مهمة تريح من تعب حركة اليوم .

الثانية : مهمة تعين على حركة الغد .

فالذي يتعب نهارا ولا يسكن ليلاً ، لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك عملاً . نظرًا لأن فيه الزمن ، وانقسم هذين القسمين ، والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الإنسان وخلق له الزمان وخلق له المكان .

إذن . . ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ . . . ﴾ وقال : ﴿ وَارْتَبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [القصص : ٧١] .

إذن . . الليل للسكن ، والنهار للابتغاء ، ولكن . . هل خرج الليل عن

كونه ظرف زمان ؟ وهل خرج النهار عن كونه ظرف زمان ؟

إذن . . فهو زمان انقسم إلى قسمين ؛ إلا أن لكل قسم منهما مهمة .

إن حاولت أن تدخل واحدا في مهمة الآخر تكون قد أفسدت نظام

التكوين الزمنى .

إذن . . ساعة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ** ﴾ [الليل] . يغشى : يعنى يُغطى الكون ، والناس تسكن فيه ،

والنهار إذا تجلى : اتضح ووضح ، والناس على بينة من أشیائها ، يسيحون في الأرض ويضربون فيها .

يأتى بعد ذلك ، بعد الظرف الذى هو للحركة ويتكلم عن المتحرك

﴿ **وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ** ﴾ يعنى : لكل واحد مجال فى سعيه ، سعيكم متفرق ، يعنى : يا ذكر لك مهمة ، ويا أنثى لك مهمة .

فإياك أيها الرجل أن تأخذ مهمة المرأة ، وإياك أيها المرأة أن تحاولي

أن تأخذى مهمة الرجل . وبينكما قدر مشترك ، هذا القدر المشترك أن كلاكما إنسان مفكر ، وإنسان مفكر يعنى : له عقل يخاطر فيه بين البديلات ، ولكن لك عقل يخاطر بين بديلاتك فى مجالك ، وللمرأة عقل يخاطر بين بديلاتها فى منطقتها .

فإذا حاولت المرأة أن تأخذ من الرجل خيار بديلاته ، أو الرجل حاول

أن يأخذ من المرأة خيار بديلاتها نقول له : ستقف أمامك بنية الأشياء التكوينية .

ومعنى « بنية الأشياء التكوينية » : الطبيعة التى خلقت عليها .

فهب أن المرأة أخذت عمل الرجل ، أيمن للرجل أن يأخذ عمل

المرأة ؟! فللمرأة مهمة هى وعاء الإنسان ، تحمل وترضع ، فهل للرجل أن يصنع ما صنعت المرأة ؟!

إذن . . البنية تقف!!

فنقول له : إن أردت أن تسوى المرأة بك ، أو إن أرادت المرأة أن تسوى نفسها بالرجل ظلت مسائل بطبيعة تكوينها منوطة بها ، فتكون أنت صعبتها على المرأة أم خففتها عن المرأة ؟
أنت صعبتها على المرأة !!

وأيضاً . فإذا ما أردنا أن نلاحظ في العملية التكوينية ؛ نجد أن الرجل يمتاز بالصرامة ، ومعنى الصرامة : أن طاقة العقل تتحكم في تصرفاته ، وطاقة العاطفة تكاد تكون على قدرها فيه ، أنا لا أقول مطموسة ، ولكن على قدرها فيه .

والمرأة ستعرض لمهمة تتطلب العاطفة قبل العقل .
والرجل يتعرض لمهمة تتطلب العقل قبل العاطفة .

ونلاحظها نحن في حياتنا ، في حياتنا اليومية نرى هذه المسألة : الرجل المكدود حين يجيء ليرتاح ليله ، وله طفل يتألم ويبكى ، ماذا يكون موقف الرجل من المرأة حين يسمع طفله يبكي ؟! لا يرى إلا أن طفله يُفسد عليه نومه ، ويعكر عليه راحته . وربما نطق بألفاظ غير لائقة ينهر بها الطفل ويحفز بها الأم ، ويقول لها : أسكتي هذا الولد ، أنا أريد أن أرتاح .

نعم هو يريد أن يرتاح ، ذلك منطق العقل ، لأنه يريد أن يستيقظ في نشاط ليقوم بعمله . فماذا تصنع المرأة ؟

إن منطق العاطفة يجعل هنا افتراقاً : الرجل يريد أن يُسكته ؛ وهي تذهب لتهدده عليه ، وتبعده عن مكان أبيه . ذلك هو منطق العاطفة . لأن الولد لا يقنع بأن لا يبكى ، لا تستطيع إقناعه لأنك لا تعلم ما الذي يُبكيه .

إذن . . فهو لابد يُريد رَتَابَةً حنان ، ويريد قسطاً من العاطفة السيالة . هذه العاطفة تصطدم مع قضية العقل . إذن . . فالمرأة لها مهمة .

وقد يأتي الولد الصغير ويجلس ساعة الطعام وقد يقضى حاجته وهو جالس أمام الطعام ، فماذا يكون الموقف من أبيه ؟! أبوه يغضب ويرغى

ويزيد . حيثئذ المرأة تأخذ الطفل بعيداً بيدها وتمسح له وتغسله . . إلخ .
إذن . . فطاقة الحنان وطاقة العطف مطلوبة في المرأة .

وطاقة العقل والصرامة مطلوبة في الرجل ؛ لأنه يريد أن يسبح بها في
ميادين الحياة . إذن . . فللمرأة مهمة وللرجل مهمة .

ولذلك لا يصلح الرجل في حضانة الطفل في هذا الوقت ، إنما الأم
هى التى تتسلمه ، ولذلك نحن قلنا إنه يجب أن يفهم الناس أحاديث النبي
صلى الله عليه وسلم التى تقول : « خلقت المرأة من ضلع أعوج » ^(١) لا
يستقيم إلا بالطلاق!

إن أردت أن تجعلها مستقيمة تطلقها ، لا تقعد معك . لماذا ؟
لأن مهمتها حنانية ، مهمتها عطف ، فيشبهها بالضلع ، والضلع
معوج ، ولكن اعوجاجه ليكون صالحاً لمهمته .
لو كان هذا الضلع عدلاً لم ينفع لمهمته لأن الله جعله هكذا ليكون
القفص الصدرى للقلب وللرئة والأشياء الدقيقة هذه .
إذن . . فعوجها ؛ لأنه مؤد مهمته .

الناس تفهم أن المرأة خلقت من ضلع أعوج أن هذا سبب لها!

(١) روى البخارى [٣٣٣١] ، ومسلم [٦٠/١٤٦٨] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج
شئ فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا
بالنساء » .

وفي رواية مسلم [٦١/١٤٦٨] : إن المرأة خلقت من ضلع . لن تستقيم لك على
طريقة . فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج . وإن ذهبت تقيمها كسرتها . وكسرها
طلاقها .

وفي المقاصد الحسنة للسخاوى : وللعسكري عن المبرد قال : قال ابن طيفور : روي أن
إبراهيم الخليل عليه السلام شكى إلى ربه عز وجل سوء خلق سارة ، فأوحى الله إليه إنما
هى ضلع فارقت بها . أما ترضى أن تكون نصيبك من المكروه ، وفى الحديث إشارة إلى
ما يروى من أن حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام .

نقول : لا ، هذا يناسب مهمتها التي خلقت من أجلها ، لأن مهمتها حنانية . مهمتها حنانية لماذا ؟! لأنها حملت الولد في بطنها ، حملته في بطنها بشيء من الحنان ؛ تحاول أن تكون بعيدة عن أن يتأثر ما في بطنها بحركتها . كل ذلك مناسب لمهمتها . فإذا ما أردنا أن نأخذ عملها في تكوين النفس وجدناها أعجب من الرجل وأشقى من الرجل ؛ لأنها تتعامل مع من لا يفهم ، تتعامل مع من لا يستطيع أن يشير إلى موضع آلامه ، وتلك مهمة صعبة ، وأطول مهمة في حياة طفولة الأشياء .

الحق سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان بنوعيه الذكر والأنثى ، جعل لكل نوع مهمة في الحياة ، وكانت الخلقة التكوينية لكل واحد من النوعين تتناسب مع مهمته .

وقلنا : إن الذين يحاولون أن يدسوا بين الإسلام وبين المرأة يريدون كما قلنا أن يجعلوا من المرأة حربة ينفذون بها إلى صميم الإسلام . فهم حين يتكلمون عن أن الإسلام يريد أن يجمد المرأة وأن يمنعها حظها من الحركة في الحياة وأن يقوم بسد عنيف يعوق بينها وبين متطلبات حياتها من الحرية ومن الانطلاق نقول لهم : إن الذي يحاول أن يجعل للمرأة مهمة أخرى يكون قاسيا على المرأة ؛ لأن مهمتها الأصيلة إن أرادت أن تكون مخلصة فيها وأمينة عليها تحتاج منها ضعف الوقت الذي تعيشه .

وقلنا : إن الإنصاف يجب أن يُبين أن المرأة تتعامل مع الطفل ، والإنسان في طفولته التي تعتبر المقياس الأعلى في الطفولات في الكائن الحي .

الأشياء تختلف طفولاتها ، شيء طفولته ساعة ، وشيء طفولته يوم ، وشيء طفولته أسبوع ، على قدر عمره ، وشيء طفولته عام ، وشيء طفولته عامين ، ومع ذلك نجد الإنسان الذي هو السيد ، طفولته تتناسب مع سيادته ، ولذلك تتحدد الطفولة في عرف الإسلام بالبلوغ .

ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾ [النور : ٥٩]

إذن.. الحد الذى يخرجنى عن الطفولة ، أن أبلغ الحلم . يعنى : أكون إنسانا رشيدا ، مستكملا.. وهذا إذا كانت عندى قدرة على أن أنجب مثلى .

إذن.. لا يخرج عن الطفولة إلا إذا كانت عنده قدرة على أن ينجب مثله ، وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ ﴾ .

إذن.. فمن ولادته إلى أن يبلغ هو طفل ؛ تلك الطفولة فى حاجة إلى حاضن ، هذا الحاضن إذا نظرنا إليه وجدناه فى الأب وفى الأم . حضانة الأب فى الخارج ، وحضانة الأم فى الداخل .

وإذا نظرنا إلى القيم التى تسيطر على حياة الإنسان بعد أن يكون شاباً فتياً ، وبعد أن يكون رجلاً ، كل هذه تتكون من أشياء من يوم أن تفتح عنده وسائل الإدراك . لا تقل إنه يتعلم بعد كذا سنة .

إنه بمجرد أن يدرك تبتدئ قضية التعلم من القضايا الكونية التى سيمارسها وهو طفل ، فإياك أن تفهم أن هذا التعليم يوجد فى سن متأخرة .

التعلم معناه : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ [النحل : ٧٨] .

إذن.. فبمجرد أن يوجد سَمْع ؛ يوجد إدراك ، وبمجرد أن يوجد بَصَر ؛ يوجد إدراك ، بمجرد أن تأتى الخميرة من المدركات الحسية وتتكون المعلومات العقلية ، يوجد إدراك .

إذن.. فكل سمع يُعطى إدراكا ، وكل مرئى من المرئى يعطى إدراكا . وما دام هكذا ، فمن أول وجود السمع فى الطفل سيتعلم ، ومن أول وجود المرئى سيتعلم .

إذن.. فهذه المدة كلها.. لماذا ، ولماذا طالت طفولته ؟ لأن مهمته عالية ، فتتطلب طفولة واسعة . لماذا ؟ لأنه سيتعرض لأقضية كثيرة جدا

تناسب رسالته في الحياة ؛ لأنه هو السيد ، وهو المهيمن على هذه الأشياء وهو الخليفة في الأرض ^(١) .

إذن . . فلا بد أن يُعدَّ الإعداد المناسب .

إذن . . فطول طفولته ليدلنا على أن مهمته تتناسب مع هذه الطفولة الطويلة التي يتعلم فيها .

والأم هي سيدة هذه الفترة ، ومن الممكن أن تقول : تأتي بحاضنة تصنع له الأشياء التي تصنعها الأم ! ولكنك لا تستطيع أن توجد في أي حاضنة قلب أم . . قلب الأم له وظيفة ثانية . وأيضاً فإن المحاضن التي صنعوها في الخارج وجاءوا بأطفال كثيرين وتشرف عليهم حاضنة لم تؤد إلا إلى ما قرأناه في كتاب : « أطفال بلا أسر » لماذا ؟ لأن الطفل تأتي عليه فترة من الفترات يُريد راعياً له وحده ، وحاملاً له وحده ، ومعتن به له وحده . بدليل أننا إذا رأينا طفلاً وجاء على رأسه واحد ثانٍ ننظر ماذا يحدث ؟ لو أن الأم نظرت إلى هذا نظرة ؛ الثاني يغضب فما بالك بحاضنة تشرف على عشرة أو خمسة عشر أو عشرين طفلاً .

طاقة من العطف موزعة على غير أبناء . . بقلب أم ، أم بقلب غير أم ؟

طاقة موزعة على غير أبناء وليست بقلب أم . فماذا يكون الموقف ؟

(١) استنباطاً من قول الله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠]

أي : خالقي . ذكره الطبري .

وقال العلامة ابن كثير : أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن ، وجيلاً بعد جيل ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، وقال : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضَ ﴾ [النمل : ٦٢] ، وقال : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا نِسَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنفُسِهِمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النمل : ٦٠] ، وليس المراد ههنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط كما يقوله طائفة من المفسرين ، إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

وقال الإمام النووي في الأذكار : واختلفوا في جواز قولنا خليفة الله ، فجزّره بعضهم لقيامه بحقوقه في خلقه ، ولقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٣٩] وامتنع جمهور العلماء من ذلك .

إذن.. فالمرأة لو أننا أردنا أن نأتى بها بمهمتها على ما طلبت منه يضيق وقتها بها . ومن الممكن أن تكون المرأة كل شىء فى الوجود ؛ إذا أرادت أن تخلص لمهمتها .

المرأة حين تأخذ جهد الرجل وعرقه ، وتحاول أن تدبره تدبيرًا يتسع لمطلوبات الحياة ، بلا سرف فيه ، وتستطيع أن تنميه ، وتستطيع أن تتعلم ما يكف النفس عن مصروفات فى غير طائلها .
تستطيع أن تخطط لأبنائها .

كان المغزل هو شغل المرأة ، وإذا نظرت إلى هذا المغزل ، وجدته يقوم الآن مقام ماذا ؟ مقام آلة النسيج ، ومقام آلة الخياطة ، كل حاجة ، كل ما يتعلق بهذه العملية ، حتى أنها كانت تنسج فى منزلها .

فإذا كانت المرأة قد أتعبها العمل جدًا تستطيع أن تصنع .. وتستطيع أن تكون « وزيرة صحة » وتستطيع أن تكون « وزيرة مالية » تدبر ، تستطيع أن تكون « قاضية » تقضى بين الأولاد . كل شىء من الممكن أن يكون فى المرأة .

والإسلام حين طلب من المرأة أن تتفرغ لهذه المهمة ؛ أعطها الطاقة الحنانية التى تتسع لهذه المهمة .

ويجب أن لا نعزل قضايا الإسلام بعضها عن بعض ، يقول لك : إن حاجة العصر اضطرت المرأة إلى أن تخرج للعمل .

نقول له : هى حاجة الإسلام لأنك غيّبت قضية من قضايا الإسلام . المرأة مطلوبة من أبيها إن كان موجودًا ، مطلوبة من إخوانها ، مطلوبة من عصبتها ، مطلوبة من أعمامها ، مطلوبة من زوجها .

إذن.. فحين تأخذ قضية الإسلام لا تعزل قضية المرأة عن بقايا قضايا الإسلام .

فإذا وجدت امرأة ليس لها أحد من هؤلاء أو هؤلاء ، أو كانوا عجزوا لا

يستطيعون . . الإسلام لم يمنع أن تضرب في الأرض ضرباً مناسباً لمهمتها ،
وتحتفظ أيضاً بأن تكون امرأة .

ونحن سبق وقرأنا قصة بنات شعيب في القرآن ، التي إذا ما قرأتها
وجدتها لم تترك عنصراً من عناصر حياة المرأة إذا احتاجت إلا وجاءت بها ،
مما يدل على أن القرآن لا يعرض القصص لقتل الوقت ، لا يعرض القصص
لقتل الزمن ، لا يعرض القصص للترفيه ، إنما يعرض القصص لالتقاط
العبرة منها .

فيأتي القرآن ويحدد فيقول لك : توجد ضرورة . . إذن فلا بد أن تأتي
بقضايا الإسلام مع بعضها .

قضايا الإسلام : إن الرجل مسؤول عن بناته ، والأخوة مسؤولون عن
أختهم ، والرجل مسؤول عن امرأته ، ومسؤول عن أمه .

إذن . . فالإسلام إذا أخذناه جملة واحدة لا نجد فجوة يخرج منها
واحد ، فإذا احتاجت المرأة وكان المجتمع الإسلامي ليس عنده مروة ، فلنا
في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب وأبيهما العبرة ، فهما
دستور سماوي في حال احتياج المرأة المسلمة للعمل أو الخروج من بيتها
وهذا ما سنتكلم عنه في الفصل التالي إن شاء الله تعالى .



obeikandi.com

دستور خروج المرأة للعمل

ضرب لنا ربنا سبحانه وتعالى المثل فى قصة موسى عليه السلام :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص : ٢٣] ﴿ مِنْ دُونِهِمْ ﴾ يعنى : بعيدا عنهم . ﴿ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ تذودان ماذا ؟ الماشية ، معنى ﴿ تَذُودَانِ ﴾ : يعنى تمنعانها أن تذهب إلى عين الماء فإذا كانت المرأتان تمنعان الماشية أن تذهب إلى عين الماء لترد ، فما الذى أخرجهما إلى مكان العين ؟

شئ مٌلفت للنظر . . إذن فقول موسى عليه السلام للمرأتين : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ كلام طبيعى . رأى حالة متناقضة ، رأى أن امرأتين خرجتا مع ماشيتهما إلى العين ، ومع ذلك تمنعان الماشية من أن تنزل العين .

فـ : ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ؟ ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ . ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي ﴾ إذن : كان هناك جمع وحكى عنه قول ، إذن : القول الواحد هذا كيف يأتى من جمع ؟ ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي ﴾ إذن من الذى قال ؟ الاثنان ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ إن كانتا قد اتفقتا فى هذا المنطق ، وقالتاه فى نفس واحد ، فهذا يكون دليلاً على أنها قضية مدروسة ، ليست قضية ارتجالية . ﴿ قَالَتَا ﴾ ، ليس : « قالت » واحدة والثانية سككت ، لا ﴿ قَالَتَا ﴾ مما يدل على أنه حين قال : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ كان الجواب منهما معاً . فإن كان الجواب قد صدر منهما معاً : ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ فيكون دليلاً على أنه جواب مدروس أم لا ؟ فهى قضية لم يفاجئا بها ، أو أن واحدة قالت والثانية سككت ، وإذا ما قال واحد من الجمع والثاني سككت ، فمعناه وفق سكوته .

﴿ لَا تَسْقَى ﴾ أى : ماشيتنا . وهذا هو معنى ﴿ تَدْوَدَانٍ ﴾ .

﴿ حَتَّى يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ ﴾ كأنه كان يوجد رجال يسقون أيضا ، فلو أن الضرورة كانت تُبيح للمرأة أن تخرج مختلطة بالرجل ؛ لكان فى ذلك ما يُبرر أن تلتقى بالرجل وتختلط به عند الماء . لا ؛ المرأتان أخذتا الضرورة على قدرهما ، خرجتا لأن أباهما شيخ كبير ، يعنى قضية بحيياتها .

﴿ لَا تَسْقَى حَتَّى يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ ﴾ معناها أنهما أخذتا الضرورة بقدرها . بدون تزيد ، صحيح خرجنا لأن أبانا شيخ كبير ، ولكن ليس معنى أن الضرورة أخرجتنا إلى أن نسقى أننا نحتك مع الرعاة ، بل سنترك السقيا للرعاة حتى ينتهوا ، وبعد ذلك نذهب فى فراغ .

إذن . . هما وإن كانتا خرجتا ، إنما خرجتا فى إطار الحجاب أيضا ، فهما ذهبتا وهما فى حجاب أيضا ، لأنهما لم تختلطا بالرجال .

﴿ لَا تَسْقَى حَتَّى يُصَدِّرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ إذن . . ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ حيثية الضرورة ، ﴿ لَا تَسْقَى ﴾ الضرورة بقدرها لم نتزيد . ماذا يكون مهمة المجتمع الإيمانى أو الإنسانى ؟ ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ إذن . . مهمة المجتمع أنه إذا رأى امرأة أخرجتها الضرورة إلى مجال ، عليه أن يؤدى لها العمل لتعود إلى مكانها الطبيعى .

﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ تلك المهمة هى المهمة الإيمانية وجاء بها من « موسى » .

إذن الإسلام يعرض القضية لنستنبط منها الضرورة ومجالات الضرورة ، حتى لا نأخذ الضرورة بتزديداتها ونضيف عليها إضافات ليست من مجال الضرورة ^(١) .

(١) قال العلامة فخر الدين الرازى : قوله تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ أى : سقى غنمهما لأجلهما ، وفى كيفية السقى أقوال :
أحدها : أنه عليه السلام سأل القوم أن يسمحوا فسمحوا .
وثانيها : قال قوم عمد إلى بشر على رأسه صخرة لا يقلها إلا عشرة ، وقبل أربعون ، =

= وقيل مائة فتحاها بنفسه واستقى الماء في ذلك البئر .

وثالثها : أن القوم لما زاحمهم موسى عليه السلام تعمّدوا إلقاء ذلك الحجر على رأس البئر فهو عليه السلام رمى ذلك الحجر وسقى لهما . وليس بيان ذلك في القرآن . والله أعلم بالصحيح منه . لكن المرأة وصفت موسى عليه السلام بالقوة فدل ذلك على أنها شاهدت منه ما يدل على فضل قوته .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى ظِلِّهِ ﴾ وفيه دلالة على أنه سقى لهما في شمس وحر ، وفيه دلالة أيضا على كمال قوة موسى عليه السلام ، قال الكلبي : أتى موسى أهل الماء فسألهم دلوا من ماء ، فقالوا له : إن شئت اتت الدلو فاستق لهما قال : نعم ، وكان يجتمع على الدلو أربعون رجلا حتى يخرجوه من البئر فأخذ موسى عليه السلام الدلو فاستقى به وحده وصب في الحوض ، ودعا بالبركة ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما .

فإن قيل كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب أن يرضى لابنته بسقى الماشية ؟ قلنا : ليس في القرآن ما يدل على أن أباهما كان شعبيا والناس مختلفون فيه ، فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إن أباهما هو بيرون ابن أخى شعيب ، وشعيب مات بعد ما عمى وهو اختيار أبى عبيد ، وقال الحسن : إنه رجل مسلم قبل الدين عن شعيب على أنا .

وإن سلمنا أنه كان شعبيا عليه السلام لكان لا مفسدة فيه ؛ لأن الدين لا يابأه . وأما المروءة فالناس فيها مختلفون وأحوال أهل البادية غير أحوال أهل الحضر ، لاسيما إذا كانت الحالة حالة الضرورة .

أما قوله : ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ فالمعنى إنى لاى شىء أنزلت إلى من خير قليل أو كثير غث أو سمين لفقير ، وإنما عدى فقيرا باللام ؛ لأنه ضمن معنى سائل وطالب . وإعلم : أن هذا الكلام يدل على الحاجة ، إما إلى الطعام أو إلى غيره ، إلا أن المفسرين حملوه على الطعام ، قال ابن عباس : يريد طعاما يأكله ، وقال الضحاك : مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما إلا بقل الأرض ، وروى أن موسى عليه السلام لما قال ذلك رفع صوته ليسمع المرأتين ذلك ، فإن قيل إنه عليه السلام لما بقى معه من القوة ما قدر بها على حمل ذلك الدلو العظيم ، فكيف يليق بهمة العالية أن يطلب الطعام ، أليس أنه عليه السلام قال : « لا تحل الصدقة لغني ولا لذى قوة سوى » ^(١) ؟ قلنا : أما رفع =

(١) روى من حديث عبد الله بن عمرو ، ومن حديث أبى هريرة ، ومن حديث حبشى بن جنادة ، ومن حديث جابر ، ومن حديث طلحة ، ومن حديث عبد الرحمن بن أبى بكر ، ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهم .

فحديث عبد الله بن عمرو : أخرجه أبو داود ، والترمذى عن سعد بن إبراهيم عن ربحان بن يزيد عن عبد الله بن عمرو عن النبي عليه السلام ، قال : « لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذى مرءة » =

- = الصوت بذلك لإسماع المرأتين وطلب الطعام فذاك لا يليق بموسى عليه السلام البتة ، فلا تقبل تلك الرواية ولكن لعله عليه السلام قال ذلك في نفسه مع ربه تعالى .
- وفي الآية وجه آخر : كأنه قال رب إنى بسبب ما أنزلت إلى من خير الدين صرت فقيراً في =
- = سوي ، انتهى . أخرجه أبو داود عن إبراهيم بن سعد عن أبيه ، والترمذي عن سفيان عن سعد به ، وقال : حديث حسن ، وقد رواه شعبة عن سعد ، فلم يرفعه ، انتهى . قال صاحب «التنقيح» : وريحان بن يزيد ، قال أبو حاتم : شيخ مجهول ، ووثقه ابن معين ، وقال ابن حبان : كان أعرابياً صدوقاً .
- وأما حديث أبي هريرة : فأخرجه النسائي ، وابن ماجه عن أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الصدقة لا تحل لغني ، ولا لذي مرة سوي» ، انتهى . ورواه ابن حبان في «صحيحه» في النوع السابع والسبعين ، من القسم الثاني ، قال صاحب «التنقيح» : رواه ثقات ، إلا أن أحمد بن حنبل ، قال : سالم بن أبي الجعد لم يسمع من أبي هريرة ، انتهى .
- طريق آخر : أخرجه الحاكم في «المستدرک» عن ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة ، فذكره . وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وشاهده حديث عبد الله بن عمرو ، ثم رواه بسند السنن . وسكت عنه .
- طريق آخر : أخرجه البزار في «مسنده» عن إسرائيل عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي هريرة ، قال البزار : وهذا الحديث رواه ابن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة رضى الله عنه ، والصواب حديث إسرائيل ، وقد تابع إسرائيل على روايته أبو حصين ، فرواه عن سالم عن أبي هريرة ، ثم أخرجه كذلك ، وهذا مخالف لكلام الحاكم .
- وأما حديث حبشي بن جناد : فرواه الترمذي حدثنا علي بن سعيد الكندي حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن مجالد عن الشعبي عن حبشي بن جناد السلولي ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وهو واقف بعرفة في حجة الوداع ، وقد أتاه أعرابي فسأله رداه ، فأعطاه إياه ، قال : إن المسألة لا تحل لغني ، ولا لذي مرة سوي ، مختصر . وقال : غريب من هذا الوجه ، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» حدثنا عبد الرحيم به ، ومن طريقه الطبراني في «معجمه» .
- وأما حديث جابر : فأخرجه الدارقطني في «سننه» عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله ، قال : جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ، فركبه الناس ، فقال : «إنها لا تصلح لغني ، ولا لصحيح سوي ، ولا لعامل قوي» ، انتهى .
- والوازع بن نافع ، قال ابن حبان في «كتاب الضعفاء» : يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته ، ويشبه أنه لم يتعمدها ، بل وقع ذلك في روايته لكثرة وهمه . فبطل الاحتجاج به ، انتهى كلامه . ورواه أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في «تاريخ جرجان» من حديث محمد بن الفضل بن حاتم حدثنا إسماعيل بن بهرام الكوفي حدثني محمد بن جعفر عن أبيه عن جده عن جابر مرفوعاً : لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي مرة سوي ، انتهى .
- وأما حديث طلحة : فرواه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» من حديث إسماعيل بن يعلى ابن أمية =

= الدنيا + لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة ، فقال ذلك رضى بهذا البدل وفرحا به وشكرا له ، وهذا التأويل ألقي بحال موسى عليه السلام .

أما قوله تعالى : ﴿ لَمَّا أَنَّهُ لَمَّا تَمَشَّى عَلَى أَسْتَحْيَاو ﴾ فقلوه : ﴿ عَلَى أَسْتَحْيَاو ﴾ في موضع الحال أي مستحياة ، قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : قد استترت بكم قميصها ، وقيل : ماشية على بعد مائلة عن الرجال ، وقال عبد العزيز بن أبي حازم على إجلال له .

ومنهم من يقف على قوله : ﴿ تَمَشَّى ﴾ ثم يبتدئ فيقول : ﴿ عَلَى أَسْتَحْيَاو ﴾ قالت : ﴿ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَتَمَشَّى ﴾ يعني أنها على الاستحياء قالت هذا القول ؛ لأن الكريم إذا دعا غيره إلى الضيافة يستحي ، لاسيما المرأة وفي ذلك دلالة على أن شعبيا لم يكن له معين سواهما ، وروى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس ، قال لهما : ما أعجلكما ؟ =

= الثقفى عن نافع عن أسلم مولى عمر عن طلحة بن عبيد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تحل الصدقة لغني ، ولا لذي بريرة سوي » ، انتهى . ورواه ابن عدى في « الكامل » ، وقال : لا أعلم أحداً رواه بهذا الإسناد غير أبي أمية بن يعلى ، وضعفه عن ابن معين ، والنسائي ، ولينه عن البخاري ، وثقه عن شعبة ، ثم قال : وهو من جملة الضعفاء الذين يكتب حديثهم ، انتهى . وأما حديث عبد الرحمن بن أبي بكر : فرواه الطبراني في « معجمه » حدثنا أحمد بن رشد بن حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثني بكر بن سودة عن أبي ثور عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن النبي عليه السلام نحوه ، سواء .

وأما حديث ابن عمر : فرواه ابن عدى في « الكامل » من حديث محمد بن الحارث بن زياد عن محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنه مرفوعاً بنحوه ، سواء ، وأعله بمحمد بن الحارث ، وضعفه عن البخاري ، والنسائي ، وابن معين ، وضعف أيضاً ابن البيلماني .

حديث آخر في الباب : أخرجه أبو داود ، والنسائي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبيد الله بن عدى بن الخباز ، قال : أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي عليه السلام في حجة الوداع ، وهو يقسم الصدقة ، فسألاه ، فرفع فينا البصر وخفضه فرأنا جليدين ، فقال : إن شئنا أعطيكما ، ولاحظ فيهما لغني ، ولا لقوى مكتسب ، انتهى . وقال صاحب « التنقيح » : حديث صحيح ، ورواه ثقات ، قال الإمام أحمد رضى الله عنه : ما أجوده من حديث ، هو أحسنها إسناداً ، انتهى .

حديث للشافعي : رضى الله عنه في تخصيصه غني الغزاة : رواه أبو داود ، وابن ماجه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحل الصدقة لغني ، إلا لخمسة : العامل عليها ، أو رجل اشتراها بماله ، أو غارم ، أو غازی في سبيل الله ، أو مسكين تصدق عليه منها ، فأهداها لغني » انتهى .

ورواه أبو داود من طريق مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء عن النبي عليه السلام مرسلاً ، قال أبو داود : ورواه ابن عبيدة عن زيد ، كما رواه مالك ، ورواه الثوري عن زيد ، قال : حدثني الثبت عن النبي عليه السلام ، انتهى .

= قالتا : وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا ، فقال لإحدهما : اذهبي فادعيه لى ، أما الاختلاف فى أن ذلك الشيخ كان شعبيا عليه السلام أو غيره فقد تقدم ، والأكثر على أنه شعيب . وقال محمد بن إسحاق فى البنتين اسم الكبرى صفورا ، والصغرى ليا ، وقال غيره : صفرا وصفيرا ، وقال الضحاك : صافورا والتي جاءت إلى موسى عليه السلام هى الكبرى على قول الأكثرين ، وقال الكلبي : هى الصغرى ، وليس فى القرآن دلالة على شيء من هذه التفاصيل .

أما قوله : ﴿ قَالَتْ لِمَكَ أَيْ يَدْعُوكَ لِجَعْرِكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ فيه إشكالات : أحدها : كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية ، فإن ذلك يورث التهمة العظيمة ، وقال عليه السلام : « اتقوا مواضع التهم » (١) ؟ وثانيها : أنه سقى أغنامهما تقربا إلى الله تعالى فكيف يليق به أخذ الأجرة عليه فإن ذلك غير جائز فى المروءة ، ولا فى الشريعة ؟

وثالثها : أنه عرف فقرهن وفقر أبيهن وعجزهم وأنه عليه السلام كان فى نهاية القوة بحيث كان يمكنه الكسب الكثير بأقل سعى ، فكيف يليق بمروءة مثله طلب الأجرة على ذلك القدر من السقى من الشيخ الفقير والمرأة الفقيرة ؟

ورابعها : كيف يليق بشعيب النبى عليه السلام أن يبعث ابنته الشابة إلى رجل شاب قبل العلم بكون ذلك الرجل عفيفا أو فاسقا ؟ والجواب عن الأول : أن نقول : أما العمل بقول امرأة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى فى الأخبار وما كانت إلا مخبرة عن أبيها ، وأما العشي مع المرأة فلا بأس به مع الاحتياط والتنوع .

(١) حديث : اتقوا مواضع التهم ذكره فى الإحياء ، وقال العراقى فى تخريج أحاديثه : لم أجد له أصلا . لكنه بمعنى قول عمر رضى الله تعالى عنه : من سلك مسالك الظن اتهم . ورواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق مرفوعا بلفظ : من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء الظن به . وروى الخطيب فى المتفق والمفترق عن سعيد بن المسيب قال : وضع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ثمانى عشرة كلمة ، كلها حكم ، وهى : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك ، ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا ، ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن ، ومن كنتم سره كانت الخيرة فى يده ، وعليك بإخوان الصدق تعيش فى أكتافهم فإنهم زينة فى الرخاء عدة فى البلاء ، وعليك بالصدق وإن قتلك ، ولا تعرض لما لا يعنى ، ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغلا عما لم يكن ، ولا تطلبن حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك ، ولا تهاون بالحلف الكاذب فيها فيهلكك الله ، ولا تصحب الفجار فتتعلم من فجورهم ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى ، وتخضع عند القبور ، وذلل عند الطاعة ، واستعصم عند المعصية ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ اللَّهُ مِنْ دُونِهِ يَرْبُّوهُ أَلَمْ نَقُلْ ﴾ [فاطر : ٢٨] .



= والجواب عن الثاني : أن المرأة وإن قالت ذلك فلعل موسى عليه السلام ما ذهب إليهم طلباً للأجرة بل للتبرك برؤية ذلك الشيخ ، وروى أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ، ولما قدم إليه الطعام امتنع ، وقال : إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنينا ، ولا نأخذ على المعروف ثمناً ، حتى قال شعيب عليه السلام : هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا ، وأيضا فليس بمتكر أن الجوع قد بلغ إلى حيث ما كان يطبق تحمله فقيل ذلك على سبيل الاضطرار . وهذا هو الجواب عن الثالث فإن الضرورات تبيح المحظورات .

والجواب عن الرابع : لعله عليه السلام كان قد علم بالوحي طهارتها وبراءتها فكان يعتمد عليها .

أما قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ ﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : فقام يمشي والعجارية أمامه فهبت الريح فكشفت عنها فقال موسى عليه السلام : إني من عنصر إبراهيم عليه السلام فكوني من خلفي حتى لا ترفع الريح ثيابك فأرى ما لا يحل لي ، فلما دخل على شعيب فإذا الطعام موضوع ، فقال شعيب تناول يا فتى ، فقال موسى عليه السلام : أعوذ بالله . قال شعيب ولم ؟ قال : لأننا من أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً ، فقال شعيب : ولكن عادتي وعادة آبائي إطعام الضيف فجلس موسى عليه السلام فأكل ، وإنما كره أكل الطعام خشية أن يكون ذلك أجرة له على عمله ، ولم يكره ذلك مع الخضير حين قال : ﴿ لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ والفرق أن أخذ الأجرة على الصدقة لا يجوز ، أما الاستئجار ابتداء فغير مكروه .

obeikandi.com

الضرورة بقدرها

قد انتهينا في الفصل السابق عند قصة موسى عليه السلام حين ورد ماء مدين . وعرضنا القصة لنستخلص منها العبرة التي شاء الله أن تكون دستوراً لخروج المرأة للعمل .

قلنا إن الإسلام لم يقف جامداً عند وجود ضرورات تبيح أن تخرج المرأة إلى أن تعمل خارج بيتها .

وقلنا إن الإسلام قد ضرب هذه القصة ليحدد الضرورة ، فحددها الحق سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ .

﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ تلك حيثية الخروج . و ﴿ لَا تَسْئَلْنِي حَتَّىٰ يَتُوبَ الرِّعَاءُ ﴾ معناها : أننا أخذنا الضرورة في الخروج ، لا ضرورة مبيحة لمتطلبات الخروج على أى وجه . ولكن ضرورة بخروج امرأة إلى مجال عمل خارج بيتها فلا بد أن تكون الضرورة في حدود أنها امرأة ﴿ لَا تَسْئَلْنِي حَتَّىٰ يَتُوبَ الرِّعَاءُ ﴾ .

وقلنا إن الحق سبحانه وتعالى حينما حكى عن المرأتين وقال : ﴿ قَالَتَا ﴾ يدل على أن تلك قضية مدروسة .

ومعنى قضية مدروسة : أى ماضية فى ذهن المرأة الأولى ، وماضية أيضاً فى ذهن المرأة الثانية ، فلم يكن جواب ارتجال ولا جواب بديهية ، وإنما جواب له حيثية من جوابه .

وقلنا إن مهمة المجتمع الإيماني جاءت على يد موسى حين قال الحق عنه : ﴿ فَسَأَلْنِي لَهُمَا ﴾ .

وقوله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ هاهنا

يدل على حاجة موسى ، وأنه قضى العمل وهو محتاج ، ولكنه قضاءً حسبةً لله تعالى ؛ لأنه رأى امرأتين خرجتا ، وذلك مُنافٍ للطبيعة .

وقول القرآن يعطينا القصة من موسى ، وقوله : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ لأن الحق بعلمه الواسع علم أن أتباع موسى هم الذين سيضعون للمرأة حدود الانطلاق عندهم ليكن أسوة لحدود الانطلاق عند غيرهم .

فجاءت من موسى ؛ فكأننا حين نرى من يفد إلينا من صناعات اليهود فيما فعلته ناحية تأليب المرأة على منهج الإسلام ، نقول لهم : نبيكم هو الذى سقى لهما .

ومعنى ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ أن هذه لم تكن مهمته .

وبعد ذلك نلتفت التفاتة أخرى إلى أن المرأة من كرامتها أن تنهى هذه المهمة .

لم يجعل الله فى القصة إنهاء المسألة على يد رجل ، لا على يد موسى ، ولا على يد شعيب والد المرأتين وإنما جاء بها عن طريق المرأتين .

فكان المرأة الكريمة على نفسها الحريصة على وضعها العِرضى ووضعها الأدبى فى أى مجتمع تحاول جاهدة أن تخرج من الضرورة حين تجد أول بصيص من الأمل يخرجها من الضرورة ، نلاحظ ذلك فى اللقطة الموجودة فى الآية حينما يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتِجْرَاءُ ﴾ لو أن المرأة حلا لها أن تخرج من مكانها الطبيعى إلى الخروج لما نبهت أباهما إلى أن يستأجر الرجل ليسقى لهما ويمنعهما من الضرورة التى أخرجتهما .

إذن . . فالمرأة الواعية هى التى تعشق مهمة التستر ، تعشق مهمة الاحتجاب . لأن ذلك فيه كرامة المرأة .

ولذلك نلاحظ أمير الشعراء شوقى رحمة الله تعالى عليه حينما جاء قضية السفور ، وجاء قاسم أمين ، وحمل لواءها ، وأراد أن يخرج المرأة

إلى الشارع ، وقف شوقي وقال قصيدته المشهورة ، هذه القصيدة : حينما سمعها الجهلاء ظنوها تأييداً لخروج المرأة ، وكانوا يستشهدون ببعض آياتها :

صَدَاخُ يَا مَلِكَ الْكِنَا ر وَا أَمِيرَ الْبُلْبُلِ
هذه هي القصيدة ، فمن أراد أن يراجعها فليرجع ؛ ليعلم أن كثيراً من الذين يشتهرون عند الناس بأنهم أدباء يستشهدون بآيات ليؤيدوا قضية السفور .

فنقول لهم : لم تفهموا عن الرجل شيئاً ؛ لأن الرجل تكلم في القصيدة كلاماً رمزياً ، وجعل المسألة كأنه يُخاطب عصفوراً في قفص . القفص الذي كان يعنيه قفص الحجاب للمرأة ، والعصفور هو المرأة . ماذا قال شوقي ؟

إنه يتكلم مع العصفور المختبئ في القفص فيقول له ماذا ؟
يا ليت شعري يا أسير ر شج فؤادك أم خلى
يا أسير القفص : شج فؤادك أم - الى ؟
وحليفُ سُهْدٍ أَنْ تَنَا م الليل حتى ينجلى
أنت تعبان من حالتك هذه إنك محبوس في القفص !؟
اسمعوا له حين يقول :

حرصى عليك هوى « محبة » ومن يُحرز ثميناً يبخل
الذي يحرز شيئاً ثميناً له قيمة يحاول أن يرعاه ، يحاول أن يحفظه .
حرصى عليك هوى ومن يُحرز ثميناً يبخل
وبعد ذلك ماذا قال ؟ الذين لم يفطنوا له : يقول :

يا طير لولا أن يقولوا جُنْ قُلْتُ تَعْقِلِ
اسمع فربُّ مفصل لك لم يُفدك كمجمل

صبرًا لما تشقى به أو ما بدا لك فافعل
يقول له : صبرًا لما تشقى به : أى من حجبك فى القفص . أنا
أنصحك ، وأنصحك بإجمال ، وقد ينصحك بإجمال مالا يستطيع مُفصل أن
ينصحك به لأنه يُغشك .

اسمع فرُبَّ مفصل لك لم يُفدك كمُجمل
صبرًا لما تشقى به أو ما بدا لك فافعل
أنت ابنُ رأي للطبيب عة فيك غير مُبَدَّل
أبداً مَروع بالإسار مُهذَّب بالمَقْتَل
إن طُرت عن كنفي وقع ت على السُّور الجُهل
فكأنه فى القصيدة - نفسه شوقى - يُحِب سفورًا أم يحِب حجابًا ؟
يقول له :

يا طير لولا أن يقولوا جُنُّ قُلْتُ تَغْفُل
وقال فى الأول :

حرصى عليك هوى ومن يُحرز ثمينًا يبخل
ويقول له فى الآخر :

إن طُرت عن كنفي وقع ت على السُّور الجُهل

فكأن شوقى كان يعلم مدى ما يمكن أن يصاب به المجتمع الإسلامى
من قضية قاسم أمين ، التى رجع عنها هو نفسه ، قال : لو أننى علمت أن
هذه القضية ستؤدى إلى ما أنا رائيه الآن كنت عدلت عنها .

ولكن الناس لم يأخذوا تجارب الغير ويريدون أن يبدأوا هم تجارب
يُصدمون بعدها ، ويُصفعون بعدها .

إذن . . فالمرأة الكريمة على نفسها تمثلت فى الفتاة بنت شعيب ،
بمجرد ما رأت موسى عليه السلام سقى لهما قالت : ﴿ يَتَأْتِي أَسْتَفْجَرَةً ﴾ ولا

تقول : ﴿ يَتَأْتِي أَسْتَعِجْرَةٌ ﴾ إلا لأن ذلك يخرجها من الضرورة التي ترى نفسها مضطرة إليها ، ومضطرة إليها على مضض .

وانظروا إلى لباقة شعيب حينما قالت : ﴿ يَتَأْتِي أَسْتَعِجْرَةٌ ﴾ فكيف يستنجره وهو رجل ، ويدخل على البيت وفيه بنتان ؟ ولماذا لا يحل المسألة حلاً إيمانياً ؟ ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِخْدَى ابْنَتِي هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجًا ﴾ إلى آخره .

إذن . . . القصة لم يطلقها الله لنا لنلهو بها ولا لتتسلّى ولا نقتل فراغاً معاذ الله ، وإنما أطلقها ، وأطلقها على لسان موسى عليه السلام ، وفي نساء بنات شعيب ؛ لأن الله يعلم أجلاً أن البلاء سيأتي لنا من أتباع موسى عليه السلام ؛ لأنهم هم الذين يُزينون لنا وللمرأة أن تخرج هذا الخروج ^(١) . أقول ذلك حتى لانتهم شريعة موسى بهذه الأشياء ، ونفهم أن اللاني خرجن على شريعتنا ؛ خرجن قبل أن يخرجوا على شريعتنا على شريعة نبيهم الذي يؤمن به .

وبذلك تنتهي مشكلة الضرورة في المرأة ، وأيضاً عابوا علينا - كما قرأت في كتبهم - أنهم أرادوا أن يحفزوا المرأة المسلمة أو الفتاة المسلمة على أن الإسلام يريد أن يمنع المرأة حقها في التعلم ، ويريد أن يمنع عنها حقها في التحرر وأن تخرج وأن تختار من تشاء وأن . . . وأن . . . إلى آخره .

فنقول لهم : المسألة ليست كما تظنون ، ولكن المسألة أنهم رأوا في الإسلام خميرة المناعة الإيمانية التي جعلت العقل النزوعي يسبقه الوجدان

(١) روى مسلم [٩٩/٢٧٤٢] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الدنيا حلوة خضرة ؛ وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » . هذا والمتأمل لحال اليهود يجدهم أصحاب محلات « الموضة » والمطور وكل ما يظهر مفاتن النساء .

ويسبقه الإدراك ، فلم تقتصر فى التشريع عن الفعل النزوعى بل سبقت إلى الفعل الإدراكى .

يريدون أن يهتموا هذه القضية عندنا ؛ لأننا قلنا سابقاً : إن التشريع إنما يتدخل عند الفعل النزوعى .

ومعنى أن التشريع يتدخل عند الفعل النزوعى أن الوجدان ليس له تشريع ، الإدراك ليس له تشريع .

فمثلاً واحد يحب إنساناً ، يقول : أحبه كما شئت ، لكن لا تظلم الناس له .

وفلان يبغض إنساناً ، يقول ابغضه كما شئت ولكن لا تظلمه للناس .

إذن . . فالمسائل الوجدانية الإسلام لا يتدخل فيها . لماذا ؟ لأنه لا

يمكن فيها تشريع ، لا يوجد تشريع : أحب فلان وأكره فلان .

الحب العقلى شئ ثانٍ ، إنما الحب العاطفى : لا أحد يقدر يُكره

عليه .

ولذلك ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴾ [المائدة : ٨] .

معناها : لا يمنعكم بغض قوم على أن لا تعدلوا بل : ﴿ اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ .

إذن . . فهو لم يمنع الشنآن ، وإنما منع أن يجرنا الشنآن إلى الظلم .

فإذا وجد الشنآن ولم يوجد الظلم ، فليس لنا شأن به .

ولذلك قلنا إن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال لقاتل زيد بن

الخطاب رضي الله تعالى عنه غيب عنى وجهك ؛ أنا لا أحبك .

فقال له : أوعدم حبك لي يمنعنى حقاً من حقوقى ؟ قال له عمر :

لا ، قال : إنما يبكى على الحب النساء .

يعنى أحب أو لا تحب ، مادام حبك لي أو عدم حبك لي لا يمنعنى

حقاً من حقوقى ؟

وقلنا : إن التشريع لا يمنع أن تكره ، لا يمنع أن تبغض ، وإنما هناك حُب عقلى ، وبغض عقلى ، وحُب عاطفى وبغض عاطفى .

الحب العاطفى : الإسلام لا يتدخل فيه ؛ لأن العاطفة لا يُقنن لها .

بغض عاطفى : أيضًا الإسلام لا يتدخل فيه ؛ لأن العاطفة لا يُقنن لها . إنما يُقنن عند النزوع ، تحبه : لا تظلم له ، تكرهه : لا تظلمه .

لكن الحب العقلى - قلنا - إنه هو المطلوب . . . ولذلك قلنا : إن سيدنا عمر أيضًا له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم موقف فى الحب حينما قال له : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فماذا حدث ؟

إن عمر قال له : لا ، أحب من نفسى لا .

عمر منطقى مع نفسه .

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : لا ، حتى أكون أحب إليك من نفسك . وكررها .

فلما رأى عمر رضي الله تعالى عنه إصرار النبي صلى الله عليه وسلم على أن ذلك شرط فى الإيمان علم بفطرته السليمة أن الحب الذى يعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو الحب العقلى ، لا الحب العاطفى ^(١) .

^(١) روى البخارى [٦٦٣٢] عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسى . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الآن يا عمر » .

وروي عن بعض الزهاد : لا تصدق فى حبي حتى تؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه الهلاك .

قال الداودى : وقوف عمر أول مرة واستثناؤه نفسه إنما اتفق حتى لا يبلغ ذلك منه فيحلف بالله كاذبا ، فلما قال له ما قال تقرر فى نفسه أنه أحب إليه من نفسه فحلف ، كذا قال . =

لأن الحب العاطفى لا يمكن أن يكون له شروط ، لا أحد يقدر أن يُعَلِّله .
فما الفرق بين الحب العاطفى والحب العقلى ؟

الحب العاطفى : حب بلا سبب ؛ أنت تحب ابنك وإن كان بليداً بعاطفتك . وتحب ابن عدوك الذكى بعقلك . أو واحد يحب الدواء المر ، أحبه بعاطفته ؟ لا . إنما يحبه بعقله ، لأن هذا الدواء المر هو الذى قد يكون سبباً فى الشفاء .

ويُسَرُّ ممن يأتى له بالدواء المر إن كان ممن لا يجده فى صيدلية ، ويفرح جداً لما تأتى له به ، فهو يحبه بعقله .

كذلك حبنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن يبدأ إيماناً بالحب العقلى .

أقول : لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يكون موقفى ؟ إذن . . أنا أحبه عن نفسى لأنه هو الذى أنقذ نفسى ، هو الذى أعطانى الخير كله . إذن أحبه بعقلى . إلى أن يتسامى فيكون حبا عاطفيا ، وأحبه عن كل شئ بعاطفتى أيضاً .

ولذلك المرأة التى قُتِلَ أبوها وأخوها وزوجها فى المعركة ، وبعد ذلك يقال لها : قتل أبوك وأخوك وزوجك ، فتقول : وما حال رسول الله ؟ ما حال رسول الله أطمئن عليه . يرتقى الحب ^(١) .

= وقال الخطابى : حب الإنسان نفسه طبع ، وحب غيره اختيار بتوسط الأسباب ، وإنما أراد عليه الصلاة والسلام حب الاختيار إذ لا سبيل إلى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه .

قال الحافظ فى الفتح : فعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ، ثم تأمل فعرّف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من نفسه لكونه السبب فى نجاتها من المهلكات فى الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار ، ولذلك حصل الجواب بقوله : « الآن يا عمر » أى : الآن عرفت فنطقت بما يجب .

(١) ذكر ابن كثير فى البداية ، قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل ، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم =

إذن . . فالحب الشرعى المطلوب ، أو الإيمان : الحب العقلى .
 الحب العقلى فيه تكليف . إنما الحب العاطفى لا تكليف فيه .
 فإذا المواجهيد التى يجردها الإنسان فى نفسه لا يتوقف عليها ثواب
 وعقاب ، مادامت لا تؤدى إلى عمل نزوعى .

ومادامت لا تؤدى إلى عمل نزوعى ، منطقة التشريع فى العمل
 النزوعى ، إلا فى شىء واحد ، تعدى التشريع فيه مرتبة النزوع ، أداها إلى
 المرتبة الأولى : مرتبة الإدراك ، وتخطى مرتبة الوجدان أيضًا .
 يعنى قال لك : لا تدرك ، حتى لا تجد ، حتى لا تنزع ، نحن ضربنا
 مثلاً مرة ، حتى نقرر هذا على أذهان أبنائنا .

وقلنا : إن الإنسان حين يمر أمام بستان ، فيجد وردة جميلة ، إدراكه
 للوردة : هذا إدراك . إعجابه بها وحبه لها : هذا وجدان . مَدَّ يده
 ليقطفها : هذا نزوع .

أين يتدخل التشريع ؟ أيتدخل فى الإدراك فيقول له : لا تنظر إليها ؟
 لا .

أيتدخل فيقول لى : لم نظرت إليها لا تنبسط بها ؟ لا ، لم يتدخل .
 إنما ساعة أردت أن أمدَّ يدي إليها تدخل ، قال : ليست ملكًا لك .
 إذا كنت تريد شيئًا ؛ ازرع لك شجرة ورد ، أو استأذن صاحبها ، أو
 إذا لم يكن عندك مكان تزرع فيه أحضر شالية وضع فيها الورد مادمت مُغرماً
 بالورد هكذا ، ولا تأخذها .

= بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها ، وأخوها ، وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوها لها قالت : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
 قالوا : خيرًا يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين .
 قالت : أرونيهِ حتى أنظر إليه .
 قال : فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته . قالت : كل مصيبة بعدك جليل . قال ابن هشام :
 الجليل يكون من القليل والكثير ، وهو ههنا القليل .

إذن.. . فالتشريع لم يمنع أن تُدرك ، والتشريع لم يمنع أن تجد إعجاباً في نفسك ولكن التشريع وقف عند العملية الزوجية . إلا في مسألة المرأة.. . لماذا ؟

لأنك لا تستطيع أن تفصل الإدراك عن الوجدان ، ولا تستطيع أن تفصل الوجدان عن النزوع.. . لماذا ؟ لأن هذه العملية سترتب عليها شيء مادي في تكوينك . هذا الشيء المادي في التكوين إما أن تكبته وإما أن تنطلق به ، فإن انطلقت به ولغت في أعراض الناس ، وإن لم تنطلق به عُدَّت حياتك وأتعبت نفسك وحملت بيتك فوق ما تطيقه . فكان الله رحمة بك قال : أنا سأعدي في عملية التشريع مرتبة النزوع وأحرم الإدراك حتى لا يوجد وجدان وحتى لا يوجد نزوع ، وبذلك أكون قد رحمتك .

إذن.. . فالتشريع الإسلامي حينما قال للمرأة احتجبي ، قرى في بيتك ، لا تُعرضي ما بدا لك .

كان ذلك تكريماً للمرأة ، ومنعاً للعملية الزوجية التي تنشأ عن الوجدان الذي ينشأ عن الإدراك ، فمن البداية لم أدرك فلا يحصل عندي شيء . لكن إذا أدركت وجدت ، وإذا وجدت حاولت أن تنزع .

إذن.. . التشريع جاء في هذه المسألة وحدها وقال للإنسان : أنا يا إنسان سامنحك وأرحمك وأطلب منك أن تغض طرفك ، وأطلب من المرأة أن لا تُبدي زينتها إلا لمحارمها .

فإذا ما حدث ذلك فإن المجتمع يكون قد امتنع عن الإدراك ، فامتنع نتيجة لذلك عن الوجدان ، وامتنع نتيجة لذلك عن النزوع . وفي ذلك أيضاً تكريم للمرأة وتأمين .

كلمة التأمين هذه عندما نسمعها نقول ماذا ؟ يقولون : نحن نؤمن . ما معنى نؤمن في عرف البشر ؟!

التأمين : هو أن نأخذ من القادر ، لنعطيه له يوم أن يكون عاجزاً ،

هذا هو التأمين . فكذلك الحجاب ، وكذلك غض البصر هذا تأمين ، تأمين للمرأة وتأمين للرجل . لماذا ؟ لأن عمر المرأة في الجمال محدود ، والمرأة دائماً لمهامها تشيخ قبل الرجل . فهب أن رجلاً متزوجاً من واحدة ، وعاش معها فترة من الزمن إلى أن ذُبل جمالها ، وانتهت نضارتها ، وبعد ذلك أدخلها نظام الحمل ونظام الإرضاع ونظام العمل إلى أن أصبحت غير مغرية ولا مستميلة ولا جذابة فلو أن زوجها لا يرى إلا هي لظلت في نظره كل يوم لا تتغير عن يوم .

يعنى : التغير يُسرق من الرجل ، ومعنى يُسرق من الرجل ، يعنى إن التغير يأتى ليس فجأة ، بل يأتى بتسلل . كيف يعنى ؟

لأنك إن نظرت إلى ابنك ساعة ولد ، وظللت ناظراً له دائماً لا يكبر في نظرك أبداً . لماذا ؟ لأن الكبر ليس معناه أن جزءاً من القدر يأتى فى قدر من الزمن فى نهايته ، لا ، بل إن النمو جزء شائع فى كل الزمن ، يعنى إن كان سيكبر كل يوم ملى ، ليس معنى ذلك أنه يأتى فى آخر النهار ويزيد الملى ، لا ، بل إن هذا الملى شائع فى كل الزمن ، فى ثنایا الزمن .

النمو غير مُدرك لأنى ليس عندى أجهزة تضبطه . لكن إذا غبت عنه شهرين أو ثلاثة تجمع النمو المطرد فى كل الزمن فى لحظة من اللحظات ، فأعرف أنه كبر . لكن إن ظللت أنظر إليه هكذا ، فلا أشعر بكبره إذا زرعت زرة وظللت ناظراً لها من ساعة ما زرعتها ، يُخيل لك أنها لم تكبر . لماذا ؟ لأن النمو سيسيح فى جزئيات الزمن ، وليس عندك المعايير التى ستضبط بها .

فكذلك الرجل الذى دخل على امرأته وهي فى لباس عُرسها ، ثم ينظر إليها إذا أصبح لا تكن تغيرت عن البارحة ، وغدا لا تكون قد تغيرت عن اليوم ، لأن التغير يأتى اختلاسياً . فإذا لم ير غير امرأته ظن أن الدنيا كلها هكذا ، وهي ليست هناك غير هكذا .

لكن إذا خرج إلى الشارع فوجد امرأة أو فتاة سافرة في ميعة صباها ، وفي شبابها وسافرة ، أو متهتكة ، وعاملة البدع في نفسها كما يقولون . فماذا يكون موقف الرجل ؟ إنه سيبتدئ في دور المقارنة ، وإذا ابتدأ في دور مقارنة الصورتين جاءتا ، وجد فتاة لا زالت في اقتبال عمرها ، ووجد واحدة في إدبار عُمرها ، فلا شك أن مقاييسه ستختل ، فساد البيوت كلها يوجد من هذه المسألة ، وتُخلع على الأسباب أسباب أخرى .

ليست مدبرة ، وتعمل كذا ، وكذا ، وهي ليست هكذا ، بل هو كما يقول الفلاحون عندنا : هذه تأففات ؛ لأنه رأى حاجة خايله بره ، وبعد ذلك أتى فوجد واحدة طيبة ، حملت وأرضعت وتعبت وأصبحت في آخر حياتها .

كذلك أبنائها الذين لم يستوفوا حفظهم من الحياة والإعداد لها . لازل شاباً في الثانوى ، حياته لم تستقر بعد حتى يتزوج ، وبعد ذلك يُلهب . يكون عنده مراهقة وعنده سياط تجلب غريزته في الشارع ، فيأتى الفساد من ناحية الأب ، ويأتى من ناحية الأبناء ، ويكون فى ذلك نكد على مَنْ ؟ على ست البيت . وبعد ذلك لا يدرك الناس لذلك أسبابا ، ويعالجون فى أسباب لا طائل من ورائها ، ليست هى هذه الأسباب .

إذن . . التشريع حينما تدخل ، منع هذه العملية ، وقال للمرأة : أنا إن منعتك من السفر ، ومن التهتك فى أيام روعة جمالك ، فأنا أريد أن أحملك حين يزول هذا الجمال ، أحملك من سواك ، حتى لا يكون عند زوجك مرئى بعينه إلا أنت ، فإن رأى سواك ممن هن أجمل منك تأتى والحياة تتعكر وصفوها ينتهى .

وبعد ذلك نقول لهم : التشريع حينما طلب من المرأة أن تُقَرَّ فى بيتها ، وإن خرجت تخرج غير متهتكة ولا متبرجة ، إذا ما خلا على المسألة الحضارية نقول لهم أنتم كذابون .

نقول لهم : والله لو اقتضت المسألة على خروجكن حتى إلى المدارس باحتشامكن ، لما كان هناك شيء ، إنما قولوا لنا : ما العلاقة بين تعليمكم وبين صدوركم العارية . . . بل الفاضحة الواضحة ، ما العلاقة بين التعليم وبين أن الفخذ يكون عاريًا ، ما العلاقة بين هذا وبين أن تكون الفساتين مُلصقة بالجسد لتدل على مفاتن المرأة .

إذن . . المسألة أنتم أخذتم ضرورة وأدخلتم فيها غير ضرورات ، وبذلك حققتم لمريدي الفتنة بالأسرة المسلمة ما يريدونه .



obeikandi.com

زواج المسلم بالكتابية

انتهينا في الفصل السابق إلى بعض ما أعده لا أقول المبشرين بالمسيحية ولكن أقول المنصرين للمسلمين في منهجهم الجديد ، فقد انتقلت المسألة عندهم من مرحلة التبشير للإدخال في المسيحية إلى مرحلة إدخال المسلمين في المسيحية ، وقلنا :

إن أهم سلاح عند هؤلاء المشككين - كما وصلنا من الكتب - هو السلاح الذي يستخدم المرأة عنصراً فعالاً في الدخول على المسلمين في عقائدهم . دخلوا عليها كأم ، ودخلوا عليها كأخت ، ودخلوا عليها كبنت .

يستخدمونها في الهجوم الجديد ضد المبادئ الإسلامية ، فقالوا للفتى غير المسلم : عليك أن تغري فتاة مسلمة ، وقالوا للفتاة : عليك أن تغري فتى مسلماً وبذلك استخدموا الفتى والفتاة ، وحوادث في باكستان ، وحوادث - كما جاءتنا - في أندونيسيا تقول : إن بعض الغُير على الإسلام لبسوا مُسُوح الاقتناع ببعض المبادئ ، حتى داخلوا هؤلاء في مجتمعاتهم التمهيدية ليعرفوا مدى ما يعد للإسلام من كيد .

فقالوا للفتاة المسيحية : إن الإسلام أراد أن يُمتع الفتى المسلم بالفتاة المسيحية ، وضمن عليك أن تستمتعي بالفتى المسلم . وفي ذلك ما يؤكد أن الإسلام جاء ضد المرأة .

ويؤكد ذلك أيضاً : أنه حتى في تبشيراته للمؤمنين الورعين المتقين في الجنة أعد للرجال حُورا عينا ، وترك النساء بلا رجال .

هكذا أرادوا أن يدخلوا على الإسلام مما يدل على أن المخططين ضد

الإسلام رجال لهم خبرة بكل قضايا الإسلام ، فهم يتعمقون في دراستها لا لينشروها هذياً ، ولكن ليأخذوا سطحيات المفارقات ضاراً ضد الإسلام .
ولذلك أهاب بي كثير من الذين كتبوا لي أن نحاول جاهدين أن نرد على مثل هذه الأقضية كلها .

فنقول للفتاة المسلمة : إن القرآن قد حذر من ذلك فقال : ﴿ وَلَقَدْ تَمَنَّاهُ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢١] .

فكلمة : ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ من القرآن تدل على أنه قد يستغل الإعجاب الذى يوجد فى مقومات البنية التكوينية للرجل ليغري بها المرأة .

وأيضاً جاء للجنس المقابل : ﴿ وَلَأَمَّةٌ مِّمَّنْ خَلَقْنَا مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ .

فإن العجب المادي بالقالب مجرداً عن القيم يعطي متعة وقتية ، ولكنه يمخر فى القيم وفى المقومات الأصلية للتكوين الإنسانى ^(١) .

(١) قال ابن جرير الطبري فى التفسير : القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يَأْمَنُوا وَلَقَدْ مَنَعْنَاكَ مِنْ مِّثْلِ هَٰذَا لَوْلَا أَعْجَبَكَ ﴾ [البقرة : ٢٢١]

يعنى تعالى ذكره بذلك : أن الله قد حرم على المؤمنات أن يتكحن مشركاً ، كأننا من كان المشرك من أى أصناف الشرك كان . فلا تنكحوهن أيها المؤمنون منهم فإن ذلك حرام عليكم ، ولأن تزوجوهن من عبد مؤمن مصدق بالله وبرسوله ، وبما جاء به من عند الله ، خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك ولو شرف نسبه وكرم أصله ، وإن أعجبكم حسبه ونسبه .

وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول : هذا القول من الله تعالى ذكره ، دلالة على أن أولياء المرأة أحق بتزويجها من المرأة .
وفي الدر المنثور للسيوطي :

أخرج ابن أبى حاتم وابن المنذر عن مقاتل بن حبان قال : « نزلت هذ الآية فى أبى مرثد الغنوى ، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فى عناق أن يتزوجها وكانت ذات حظ من جمال ، وهي مشركة وأبو مرثد يومئذ مسلم . فقال : يا رسول الله إنها تعجبني . فانزل الله ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يَأْمَنَ وَلَأَمَّةٌ مِّمَّنْ خَلَقْنَا مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والنحاس فى ناسخه والبيهقى فى سننه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يَأْمَنَ ﴾ قال : استثنى الله من ذلك نساء أهل =

الكتاب ، فقال ﴿ **وَالْفَاحِشَاتُ مِنَ الدِّينِ أَوَّلُوا الْكِتَابَ** ﴾ ^(١) [المائدة : ٥] .

وأخرج أبو داود فى ناسخه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ** ﴾ قال : نسخ من ذلك نكاح نساء أهل الكتاب أحلهن للمسلمين وحرّم المسلمات على رجالهم .

وأخرج البيهقى فى سننه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ** ﴾ قال : نسخت وأحل من المشركات نساء أهل الكتاب ^(٢) .

وأخرج ابن أبى حاتم والطبراني عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ** ﴾ فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التى بعدها ﴿ **وَالْفَاحِشَاتُ مِنَ الدِّينِ أَوَّلُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ** ﴾ [المائدة : ٥] فتكح الناس نساء أهل الكتاب ^(٣) .

وأخرج وكيع وابن جرير وابن أبى حاتم والنحاس فى ناسخه والبيهقى فى سننه عن سعيد ابن جبير فى قوله : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ** ﴾ قال : يعنى أهل الأوثان ^(٤) .

وأخرج آدم وعبد بن حميد والبيهقى عن مجاهد : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ** ﴾ قال : نساء أهل مكة من المشركين ، ثم أحل منهم نساء أهل الكتاب ^(٥) .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة : ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ** ﴾ قال : مشركات العرب اللاتي ليس لهن كتاب .

وأخرج عبد بن حميد عن حماد قال : سألت إبراهيم عن تزويج اليهودية والنصرانية ، فقال : لا بأس به . فقلت : أليس الله يقول ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ** ﴾ ؟ قال : إنما ذاك المجوسيات وأهل الأوثان .

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير والبيهقى عن شقيق قال : تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر أن خل سبيلها ، فكتب إليه أنزعّم أنها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال : لا أزعّم أنها حرام ولكن أخاف أن تعاطوا المومسات منهن ^(٦) .

وأخرج ابن أبى شيبه وابن أبى حاتم عن ابن عمر أنه كره نكاح نساء أهل الكتاب ، وتأول ﴿ **وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ** ﴾ ^(٧) .

(١) رواه البيهقى فى الكبرى [١٣٧٥٤/١٧١/٧] ، وابن جرير الطبرى فى التفسير [٤٢١٢ - شاكراً]

(٢) رواه البيهقى فى الكبرى [١٣٧٥٥/١٧١/٧] .

(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير [١٢٦٠٧/٨٣/١٢] وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٢٧٧/٤] وقال : رجاله ثقات .

(٤) رواه البيهقى فى الكبرى [١٣٧٥٣/١٧١/٧] ، وابن جرير الطبرى فى التفسير [٤٢٢٠ - شاكراً]

(٥) رواه البيهقى فى الكبرى [١٣٧٥٢/١٧١/٧] .

(٦) رواه البيهقى فى الكبرى [١٣٧٦٢/١٧٢/٧] ، وابن أبى شيبه فى مصنفه [١٦١٦٣/٤٧٤/٣] ، وابن جرير الطبرى فى التفسير [٤٢٢٣ - شاكراً] .

(٧) رواه ابن أبى شيبه فى مصنفه [١٦١٦٥/٤٧٥/٣] .

= وأخرج البخارى والنحاس فى ناسخه عن نافع عن عبد الله بن عمر كان إذا مثل عن نكاح الرجل النصرانية أو اليهودية قال : حرم الله المشركات على المسلمين ، ولا أعرف شيئا من الإشرار أعظم من أن تقول المرأة : ربها عيسى أو عبد من عباد الله^(١) .

وأما قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَأْمَنُوا مَوْلَاكُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ إِنَّهُمْ لَغَابُوا عَنْ عَابَتِكُمْ** ﴾^(٢) : أخرج الواحدي وابن عباس من طريق السدي عن أبى مالك عن ابن عباس فى هذه الآية : ﴿ **وَلَا تَأْمَنُوا مَوْلَاكُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ** ﴾ قال : « نزلت فى عبد الله بن رواحة وكانت له أمة سوداء وأنه غضب عليها فلطمها ، ثم إنه فزع فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما هى يا عبد الله ؟ قال : تصوم ، وتصلى ، وتحسن الوضوء ، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . فقال : يا عبد الله هذه مؤمنة . فقال عبد الله : فوالذي بعثك بالحق لأعتقها ولأنزولها ففعل ، فطمعن عليه ناس من المسلمين وقالوا : نكح أمة ، وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة فى أحسابهم ، فأنزل الله : ﴿ **وَلَا تَأْمَنُوا مَوْلَاكُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ** ﴾ » .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن السدي مثله سواء معضلا^(٣) . وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان فى قوله : ﴿ **وَلَا تَأْمَنُوا مَوْلَاكُمْ** ﴾ قال : بلغنا أنها كانت أمة لحذيفة سوداء ، فأعتقها وتزوجها حذيفة .

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد فى مسنده وابن ماجه والبيهقى فى سننه عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنكحوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تنكحوهن على أموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، أنكحوهن على الدين ، فلا تة سوداء خرماء ذات دين أفضل »^(٤) .

وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »^(٥) .

وأخرج مسلم والترمذى والنسائى والبيهقى عن جابر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال =

(١) رواه البخارى [٥٢٨٥] .

(٢) رواه ابن جرير الطبرى فى التفسير [٤٢٢٥] - شاكراً .

(٣) رواه ابن ماجه [١٨٥٩] ، والبيهقى فى الكبرى [١٣٢٤٧/٨٠/٧] ، وعبد بن حميد [٣٢٨] وقال الألبانى : ضعيف .

(٤) رواه البخارى [٥٠٩٠] ، ومسلم [١٤٦٦/٥٣] ، وأبو داود [٢٠٤٧] ، والنسائى فى المعجم [٦/٣٢٣٠/٦٨] ، وابن ماجه [١٨٥٨] ، والبيهقى فى الكبرى [١٣٢٤٤/٧٩/٧] .



له : إن المرأة تنكح على دينها ، ومالها ، وجمالها ، فعليك بذات الدين تربت يداك ^(١) .
وأخرج أحمد والبخاري وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة على إحدى خصال :
لجمالها ، ومالها ، ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » ^(٢) .
وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من تزوج
امراة لعزها لم يزد الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزد الله إلا فقرا ، ومن تزوجها
لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغيض بصره ويحصن
فرجه أو يصل رحمه برك الله له فيها وبارك لها فيه » ^(٣) . وأخرج البخاري عن عوف بن
مالك الأشجعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عودوا المريض ، واتبعوا
الجنائز ، ولا عليكم أن تأتوا العرس ، ولا عليكم أن لا تنكحوا المرأة من أجل حسنها
فلعل أن لا يأتي بخير ، ولا عليكم أن لا تنكحوا المرأة لكثرة مالها فلعل مالها أن لا يأتي
بخير ، ولكن ذوات الدين والأمانة » ^(٤) .
وقال ابن جرير الطبري في التفسير : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَكَانَ ظَرْفُهَا إِلَىٰ خِمَارِهَا ۚ وَتُؤْمِنُ بِحَاجِّ الْفَرِيقَيْنِ فَيَنبُذَ فِيهَا مَا مَلَكَتْ يَمِينُهَا ۖ وَتَفْرَغُ مِنْهُمْ بِغَيْرِ فَرَسٍ ۚ وَكَانَ وَجْهُهَا كَالْكَوْكَبِ الْمُبِينِ ۚ** » قال :
نزلت في عبد الله بن رواحة ، وكانت له أمة سوداء ، وأنه غضب عليها فلطمها ثم فرغ ،
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبرها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
« ما هي يا عبد الله ؟ » قال : يا رسول الله هي تصوم وتصلي وتحسن الوضوء ، وتشهد
أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله . فقال : « هذه مؤمنة » فقال عبد الله : فوالذي
بعثك بالحق لأعتقنها ولأتزوجنها! ففعل ، فطعن عليه ناس من المسلمين ، فقالوا : تزوج
أمة . وكانوا يريدون أن ينكحوها إلى المشركين ، وينكحوهم رغبة في أحسابهم . فأنزل
الله فيهم : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَكَانَ ظَرْفُهَا إِلَىٰ خِمَارِهَا ۚ وَتُؤْمِنُ بِحَاجِّ الْفَرِيقَيْنِ فَيَنبُذَ فِيهَا مَا مَلَكَتْ يَمِينُهَا ۖ وَتَفْرَغُ مِنْهُمْ بِغَيْرِ فَرَسٍ ۚ وَكَانَ وَجْهُهَا كَالْكَوْكَبِ الْمُبِينِ ۚ** » ^(٥) .

(١) رواه مسلم [٥٤/٧١٥] ، والترمذي [١٠٨٦] ، والنسائي في المجتبى [٣٢٢٦/٦٥/٦] ، والبيهقي
في الكبرى [١٣٢٤٥/٨٠/٧] .

(٢) رواه أحمد في المسند [٨٠/٣] ، وابن حبان في صحيحه [٤٠٣٧] وقال الأرناؤوط : صحيح . وأبو
يعلى في مسنده [١٠١٢/٢٩٢/٢] وقال محققه : إسناده جيد . وعبد بن حميد [٩٨٨] ، والحاكم
في المستدرک [١٧٥/٢] وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه الزيادة ، وقال الذهبي : صحيح .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط [٢٣٤٢/٢١/٣] ولم يروه عن إبراهيم إلا عبد السلام وذكره الهيثمي في
مجمع البحرين [١٥٢-١٥١/٤] وقال : فيه عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب وهو ضعيف .

(٤) رواه البخاري في مختصر الزوائد [١٠٠٠] وقال : لا نعلمه عن عوف إلا بهذا الإسناد ، وي زيد لين
الحديث . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٢٥٧/٤ - ٢٥٨] وقال : رواه البخاري وفيه يزيد بن
عباد وهو متروك .

(٥) راجع تفسير ابن جرير الطبري [٣٦٨/٤ - شاكراً] .

obeikandi.com

ميراث المرأة.. رؤية واقعية

وأيضاً دخلوا على الإسلام من ناحية أنه جاء ضد المرأة ، لأنهم قالوا وأشاعوا عند المرأة المسلمة : إن الإسلام وقف عندها فى الحقوق الإرثية التى تؤول إليها ممن ترثه ؛ فهي دائماً على النصف من الرجل ، وكأنها يجب أن تكون على النصف من الرجل فى كل شيء .

وهؤلاء الذين كتبوا مثل هذه المسألة قصوا قصة مما يعلمونه فى جيرانهم : أن أسرة حصل فيها الشقاق ، لدرجة أن امرأة طعنت أخاها بمدية أودت بحياته بسبب هذه الشائعة التى قال بها المبشرون أو المنصرون .

ويجدر بنا أن نضع المناعة أيضاً فى تلك القضية - وإن كنا تكلمنا عنها كثيراً - لأن بعض الكتب التى وصلتني من نيجريا بالذات تقول لى : نسألك بالله أن لا تترك الإجابة عن شيء من هذا المسطور فى ذلك الكتاب اتكالاً على أنك تناولته فى كثير من أحاديثك ، فنحن نريد أن تكتب فى كل قضية طلبنا منك أن تكتب فيها .

ولذلك وجب علينا أن نعيد كثيراً من المقالات التى سبق أن عالجتناها فى التفسير وفى كثير من الأقضية التى تناولناها فى الجامعات وفى اللقاءات وفى الأحاديث .

فنقول لهؤلاء : يجب أن تعلموا : أن الإسلام لم يكن فى هذه المسألة ضد المرأة ، ولكنه كان محابياً للمرأة . لأن قضايا الإسلام لا تؤخذ قضية منه فى غياب قضية أخرى ، ولكن يجب أن تأخذ القضية فى حضور أخواتها من القضايا الأخرى ليكون الحكم على القضايا مجتمعة لا على القضية منفردة ، فالإسلام حين يعطي المرأة نصف الرجل ، نقول لهم :

إنه جعل المرأة هي المقياس ، فلم يقل أعطوا المرأة نصف الرجل ، بل قال : أعطوا الرجل ضعف المرأة ، فجعل المرأة هي المقياس الذى يؤول إليه الأمر ، أو المكيال الذى يكال به الأمر .

جعل المرأة هي المكيال يدل على أن الإسلام نظر اقتصاديا إلى المسألة فى أضعف قواعدها وهي المرأة ثم جعل الضعيف هو القاعدة ، وبعد ذلك جاء للأقوى فحمل قضية الأقوى على قضية الأضعف فقال : ﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ **حِظِّ** الْأُنثِيَةِ ۖ فَكَأَن حِظَّ الْأُنثَى هو المعتبر فى القياس ، وهو المعتبر للمكيال فالنظرة الاقتصادية إنما جاءت من هذه الناحية . وكيف يكون ذلك ؟ لأن النظرة الاقتصادية يجب أن تنظر إلى أنه :

ليس فى كل أحوال الميراث تأخذ المرأة نصف الرجل ، بل فى كثير من الميراث تأخذ مثله ، كالأم تأخذ مثلاً مثل الأب . والأخوات من الأم يأخذ الذكر مثل الأنثى تماماً بالسوية .

ولكن المسألة فى الأخ والأخت فقط .

فى الأخ والأخت لأن الإسلام لاحظ المقياس الاقتصادى .

المقياس الاقتصادي يقول : إننا نريد أن نعطي دخلاً من ميت ، لنزيد به دخل حى .

والدخول المفروض فيه : القيام بوجهات نظر الحياة ووجهات نظر الحياة تختلف ما بين المرأة والرجل .

لأن المرأة - إن أحضرنا كل القضايا التى تتعلق بها فى الإسلام وجدناها - غير مسؤولة عن النفقة فى نفسها ، فهي إن كانت بنتا مسؤولة من أبيها ، وإن كانت أما مسؤولة من زوجها ومن أبنائها .

ولا يلزمها الإسلام أن تنفق شيئاً من مالها ولو كانت غنية وزوجها

فقير .

بل على الرجل الفقير المتزوج من غنية أن يقترض من سواها لينفق عليها .

إذن . . فالمرأة لا التزام لها في الإسلام . لا التزام لها لأنها محمية إما في الزوج ، وإما في الأبناء ، وإما في الأعمام ، وإما في الإخوة ، فكل أمورها ليست هي مسؤولة عنها أبدا .

فإذا ما جاء الشارع وأعطاه نصف أخيها فلأن النصف سيكفيها إن هي ظلت بلا تزوج ، وإن تزوجت فسيكون هذا النصف وفرا لها ؛ لأنها ستلحق بمن ينفق عليها ولا يطالبها الشرع حتى بأن تقرضه من مالها لينفق عليها .

ولكن الأخ الذي أخذ ضعفها مطلوب منه أن يبني حياته بزوجة يأتي بها لينفق عليها ، فمادام هو سيأتي بزوجة لينفق عليها وهي ستذهب لزوج ينفق عليها ؛ فكان يجب أن يكون الكلام :

لماذا حابى الإسلام المرأة ؟ هذا هو الكلام المنطقي ، الكلام الواقعي .

فنقول له : نعم ، هو حاباها ، ويجب أن تكون القضية : أن الإسلام لم يظلم المرأة ولكنه حابى المرأة . لماذا ؟

لأن الإسلام يوعى أن المرأة قد يكون كل سلاحها في الحياة أنوثتها ، فهو أراد أن يعصمها من أن تستعمل سلاح الأنوثة في حياتها ، فأعطاه هذا النصف حتى إذا ما ظلت بلا عائل يمكن أن يكفيها . وإن جاء لها عائل فهذا الدخل يكون وفرا لها .

أما الرجل فعلى العكس من ذلك : سلاحه رجولته وكفاحه في الحياة .

والأمر في المرأة مبني على « الستر » .

إذن فيجب أن يفهم المسلمون في كل بقاع الأرض إن وردت إليهم شائعة من هذه الشائعات أو وافدة من هذه الوافدات الإلحادية أن تكون

عندهم المناعة الكافية فى أن يعطوا كل قضية ردها الإسلامى الذى تنهار أمامه كل الحجج البطلانية التى يأتى بها الخصوم ^(١) .

(١) قال العلامة القرطبي فى التفسير : اعلم أن الميراث كان يستحق فى أول الإسلام بأسباب : منها الحلف والهجرة والمعاقدة ، ثم نسخ . وأجمع العلماء على أن الأولاد إذا كان معهم من له فرض مسمى أعطيه ، وكان ما بقي من المال للذكر مثل حظ الأنثيين ؛ لقوله عليه السلام : « ألحقوا الفرائض بأهلها » ^(١) رواء الأئمة . يعنى الفرائض الواقعة فى كتاب الله تعالى . وهى ستة : النصف والربع والثلث والثلثان والثلث والسدس . فالنصف فرض خمسة : ابنة الصلب ، وابنة الابن ، والأخت الشقيقة ، والأخت للآب ، والزوج . وكل ذلك إذا انفردوا عمن يحجبهم عنه .

والربع فرض الزوج مع الحاجب ، وفرض الزوجة والزوجات مع عدمه . والثلث فرض الزوجة والزوجات مع الحاجب .

والثلثان فرض أربع : الأثنين فصاعداً من بنات الصلب ، وبنات الابن ، والأخوات الأشقاء ، أو للآب . وكل هؤلاء إذا انفردوا عمن يحجبهم عنه .

والثلث فرض صنفين : الأم مع عدم الولد ، وولد الابن ، وعدم الأثنين فصاعداً من الإخوة والأخوات ، وفرض الأثنين فصاعداً من ولد الأم . وهذا هو ثلث كل المال . فأما ثلث ما يبقى فذلك للأم فى مسألة زوج أو زوجة وأبوان ؛ فللأم فيها ثلث ما يبقى . وقد تقدم بيانه . وفى مسائل الجد مع الإخوة إذا كان معهم ذو سهم وكان ثلث ما يبقى أحظى له .

والسدس فرض سبعة : الأبوان والجد مع الولد وولد الابن ، والجددة والجندات إذا اجتمعن ، وبنات الابن مع بنت الصلب ، والأخوات للآب مع الأخت الشقيقة ، والواحد من ولد الأم ذكراً كان أو أنثى .

وهذه الفرائض كلها مأخوذة من كتاب الله تعالى إلا فرض الجدة والجندات فإنه مأخوذ من السنة .

والأسباب الموجبة لهذه الفروض بالميراث ثلاثة أشياء : نسب ثابت ، ونكاح منعقد ، وولاء عتاقة .

وقد تجتمع الثلاثة الأشياء فيكون الرجل زوج المرأة ومولاها وابن عمها . وقد يجتمع فيه منها شيان لا أكثر ، مثل أن يكون زوجها ومولاها ، أو زوجها وابن عمها ؛ فيرث بوجهين ويكون له جميع المال إذا انفرد : نصفه بالزوجية ونصفه بالولاء أو بالنسب . ومثل أن تكون المرأة ابنة الرجل ومولاه ، فيكون لها أيضاً المال إذا انفردت : نصفه بالنسب ونصفه بالولاء .

(١) رواء البخارى [٦٧٣٢] ، ومسلم [٣/١٦١٥] عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

ثم قال : واختلفت الروايات في سبب نزول آية المواريث ؛ فروى الترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارقطنى عن جابر بن عبد الله أن امرأة سعد بن الربيع قالت : يا رسول الله إن سعدا هلك وترك بنتين وأخاه ، فعمد أخوه فقبض ما ترك سعد ، وإنما تنكح النساء على أموالهن ؛ فلم يجبهما فى مجلسها ذلك . ثم جاءته فقالت : يا رسول الله ، ابتنا سعد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادع لى أخاه » فجاء فقال له : « ادفع إلى ابنته الثلثين وإلى امرأته الثمن ولك ما بقى » . لفظ أبى داود .

في رواية الترمذى وغيره : فنزلت آية المواريث^(١) . قال : هذا حديث صحيح . وروى جابر أيضا قال : عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى بني سلمة بمشيان ، فوجداني لا أعقل ، فدعا بماء فتوضأ ، ثم رش عليّ منه فأفقت . فقلت : كيف أصنع فى مالي يا رسول الله ؟ فنزلت ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّهِ فِي الْأُنثَىٰ نِصْفُ الَّذِي فِي الذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الذَّكَرِ** ﴾^(٢) . أخرجاه فى الصحيحين .

وأخرجه الترمذى وفيه : « فقلت يا نبي الله كيف أقسم مالي بين ولدى ؟ فلم يرد علي شيئا فنزلت : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّهِ فِي الْأُنثَىٰ نِصْفُ الَّذِي فِي الذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الذَّكَرِ** ﴾^(٣) الآية . قال : « حديث حسن صحيح » .

وفي البخارى عن ابن عباس « أن نزول ذلك كان من أجل أن المال كان للولد ، والوصية للوالدين ؛ فنسخ ذلك بهذه الآيات »^(٤) . وقال مقاتل والكلبي : نزلت فى أم كجعة ؛ وقد ذكرناها .

السدى : نزلت بسبب بنات عبدالرحمن بن ثابت أخى حسان بن ثابت . وقيل : إن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون إلا من لاقى الحروب وقاتل العدو ؛ فنزلت الآية تبيننا أن لكل صغير وكبير حظه . ولا يبعد أن يكون جوابا للجميع ؛ ولذلك تأخر نزولها . والله أعلم .

قال الكيا الطبرى : وقد ورد فى بعض الآثار أن ما كانت الجاهلية تفعله من ترك توريث الصغير كان فى صدر الإسلام إلى أن نسخته هذه الآية ولم يثبت عندنا اشتغال الشريعة على ذلك ، بل ثبت خلافه ؛ فإن هذه الآية نزلت فى ورثة سعد بن الربيع . وقيل : نزلت فى ورثة ثابت بن قيس بن شماس . والأول أصح عند أهل النقل . فاسترجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الميراث من العم ، ولو كان ذلك ثابتا من قبل فى شرعنا ما استرجعه .

(١) رواه أبو داود [٢٨٩٢] ، والترمذى [٢٠٩٢] ، وابن ماجه [٢٧٢٠] وقال الألبانى : حسن ، والبيهقى فى الكبرى [١٢٠٩٢/٢٢٩/٦] ، والدارقطنى [٣٧/٧٩/٤] ، وأبو يعلى فى مسنده [٢٠٣٩] وقال حسين أسد : إسناده حسن .

(٢) رواه البخارى [١٩٤] ، [٤٥٧٧] ، ومسلم [٦/١٦١٦] .

(٣) رواه الترمذى [٣٠١٥] عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه .

(٤) رواه البخارى [٢٧٤٧] .



= ولم يثبت قط في شرعنا أن الصبي ما كان يعطى الميراث حتى يقاتل على الفرس ويذهب عن الحريم .

قلت : وكذلك قال القاضي أبو بكر بن العربي قال : ودل نزول هذه الآية على نكتة بدیعة ؛ وهو أن ما كانت الجاهلية تفعله من أخذ المال لم يكن في صدر الإسلام شرعا مسكوتا مقرا عليه ؛ لأنه لو كان شرعا مقرا عليه لما حكم النبي صلى الله عليه وسلم على عم الصبيتين برد ما أخذ من مالهما ؛ لأن الأحكام إذا مضت وجاء النسخ بعدها إنما يؤثر في المستقبل فلا ينقض به ما تقدم وإنما كانت ظلامة رفعت .

وقال ابن جرير الطبري في التفسير : القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ **يُؤْتِيكَ اللَّهُ فِي الْأَوْلَادِ** ﴾ **لِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ** ﴾ .

يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ **يُؤْتِيكَ اللَّهُ** ﴾ يعهد الله إليكم ، ﴿ **فِي الْأَوْلَادِ** ﴾ **لِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ** ﴾ يقول يعهد إليكم ربكم إذا مات الميت منكم ، وخلف أولادا ذكورا وإناثا ، فلولده الذكور والإناث ميراثه أجمع بينهم ، ﴿ **لِلَّذَكَرِ** ﴾ منهم ﴿ **مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ** ﴾ إذا لم يكن له وارث غيرهم ، سواء فيه صغار ولده وكبارهم وإناتهم في أن جميع ذلك بينهم ﴿ **لِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ** ﴾ ورفع قوله : ﴿ **مِثْلَ** ﴾ ، بالصفة ، وهي اللام التي في قوله : ﴿ **لِلَّذَكَرِ** ﴾ ولم ينصب بقوله : ﴿ **يُؤْتِيكَ اللَّهُ** ﴾ لأن الوصية في هذا الموضع عهد وإعلام بمعنى القول ، والقول لا يقع على الأسماء المخبر عنها ، فكانه قيل : يقول الله تعالى ذكره : لكم في أولادكم ﴿ **لِلَّذَكَرِ** ﴾ منهم ﴿ **مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ** ﴾ .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم تبينا من الله الواجب من الحكم في ميراث من مات وخلف ورثة على ما بين ، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لأحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقي العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ، ولا للنساء منهم ، وكانوا يخصصون بذلك العقاتلة دون الذرية ، فأخبر الله جل ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمي وفرض له ميراثا في هذه الآية وفي آخر هذه السورة ، فقال في صغار ولد الميت وكبارهم وإناتهم : لهم ميراث أبيهم إذا لم يكن له وارث غيرهم ، ﴿ **لِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ** ﴾ .

الطلاق بكلمات متفرقات.. والزواج بكلمة!

ثم قالوا أيضاً للمرأة ليمردوها على الإسلام : إن الإسلام جعل انتقالها عن زوجها بكلمة عابرة تقال .

نقول لهم : كيف دخلتم على كلمة الفراق ، ونسيتم كلمة التلاقي ؟!
إن التلاقي أيضاً للرجل بالمرأة بكلمة فإذا كان التلاقي حدث بكلمة :
« زوجني وزوجتك » فلماذا تستبعدون أن يكون الطلاق أيضاً بكلمة :
« طلقتك » ؟!

الذي دخل إلى الجِلْ بكلمة يدخل أيضاً إلى الحُرْمَةِ بكلمة .
وأيضاً فإن المرأة التي تعرف أنها ستكون مع زوجها رهن كلمة تقال منه لينهي بها هذه العلاقة تحطاط جداً في أن تكون الكلمة بيد أمين عليها .
ولا يمكن أن يكون الأمين عليها إلا رجلاً يخاف ربه ، ويرعى منهج الله فيها ، كما قال الحسن^(١) لمن استشاره في زواج ابنته ، قال له : اجعلها عند تقى ، فإن أحبها أكرمها ، وإن كرهها لم يظلمها .

فلو أن المرأة علمت أن فراقها للرجل وهدم بيت الزوجية كله منوط بكلمة تُقال من الرجل لاحتاطت المرأة في أن لا تجعل هذه الكلمة إلا في يد أمين عليها ، لا يقولها إلا بحقها ، وحين يقولها بحقها تكون هي الأمر الفصل في قضايا النزاع التي تؤرق الحياة كلها .

(١) قال الفقيه السمرقندي في كتاب بستان العارفين : روي أن رجلاً جاء إلى الحسن البصري ليستشيره في تزويج ابنته فقال : زوجها من تقى فإنه إن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

وإذا ما نظرنا إلى الإسلام وجدناه يضع المقياس بالنسبة للرجل هو بعينه المقياس بالنسبة للمرأة ، فيقول في المقياس الأول : « إن جاءكم من ترضون دينه فوزوجوه » ^(١) .

ويقول في المقياس الآخر : « فعليك بذات الدين تربت يداك » ^(٢) . فلو أن المرأة أخذت في اختيار زوجها منطق الدين وقانونه ، والرجل أخذ في اختيار المرأة منطق الدين وقانونه ؛ إذا التقيا إن أمسك أمسك بمعروف ، وإن سرح سرح بإحسان .

وقلنا : إن الطلاق حين يُجعل من حق الرجل على المرأة يجب أن تلحظه المرأة ساعة تلتقي بالرجل كزوجة ويجب أن تضع هذه الأمانة في يد من يؤمن عليها ، ولا يؤمن عليها إلا إنسان له دين ، إن أحب أكرم وإن كره لم يظلم .

ويجب أن نعلم أن الطلاق قد امتاز على الزواج بأن الزواج يتم بكلمة : « زوجني .. زوجتك » ولكن الطلاق لا يأتي بكلمة واحدة وهي « طلقتك » لأنه يعطي فرصة ، ويعطي فرصة أخرى ، وبعد ذلك إذا عز اللقاء ، وعزت الحياة ، وعزت العشرة كان أمرا لا بد منه أن ينزع الرجل وتنزع المرأة ، نزع الرجل في أنه أحب أن يعود إلى المرأة لأنه اشتهاها وأحب أن يراجعها ، لا يمكن إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره .

وذلك تأديب لرجولته ، وإيجاد للغيرة حتى لا يقف هذا الموقف إلا إن كانت الحياة تعز أن يعيش مع وجود أسباب الخلاف .

(١) روى الترمذى [١٠٨٤] واللفظ له ، وابن ماجه [١٩٦٧] عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » وقال الألبانى : حسن .

(٢) روى البخارى [٥٠٩٠] ، ومسلم [٣٥٠ / ١٤٦٦] عن أبى هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

إذن . . فالطلاق ليس بكلمة كما يقولون وإنما هو بكلمات ، وبكلمات متفرقات .

متفرقات بمرة ، ولا نقول بكلمة مرة وبكلمة مرة ، فلم يقل القرآن : « الطلاق كلمتان » أنت طالق أنت طالق ، وإنما قال : ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ** ﴾ والمرة حدث فى زمن يأتي بعدها حدث فى زمن آخر ، وبعد ذلك يأتي : ﴿ **فَإِنْ سَأَلْتَهُ بِمَرْفُوعٍ أَوْ تَخِيفُغٍ بِإِحْسَنٍ** ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

فهو وإن كان الزواج بكلمة ؛ إلا أن الطلاق بكلمات متريثات بينهم فترة ، فإن أحب أن يراجع راجع مرة ، وإن أحب أن يراجع راجع مرة ثانية ، لماذا ؟

لأن الزواج إنما دُخل عليه بدون تبعات تسبقه ولكن الطلاق قد يأتي بعد تبعات سبقته ، وهو وجود علائق ليس من السهل على القلب البشري أن يتخطاها وأن يتعدها ، كوجود علاقة المودة ووجود علاقة الرحمة ، وفوق ذلك وجود علاقات الأبناء التى تربط حياة الزوجين ، وقد يُربطان على نكد من أسباب الحياة الذاتية لاستبقاء أمر البنوة .

إذن . . فالإسلام كان حكيماً حين شرع كل شيء فى موضعه .

ولا نقول إن الإسلام إنما جاء لينقض قضية اللقاء ، ولكن ليصفي وينسق قضية اللقاء . فليس من العدل أن يحمي القرآن حياة كلها نكد ، ليعيش فى ظل قانون جامد لا يبيح له أن يطلق .

وإذا كان القوم الذين عابوا على الإسلام هذا الموقف قد ألجأتهم ظروف الحياة وأحداثها إلى أن يعودوا إلى قضية الإسلام فى الطلاق عودة لا لأنهم آمنوا بقضايا الإسلام ، ولكن لأن أحداث الحياة عضتهم وحين تعضهم أحداث الحياة لا يجدون ملجأ إلا أن يذهبوا إلى قضية القرآن لا على أنها قضية القرآن ولكن على أنها قضية تُحل لهم الوضع الذى يثنون ويشتكون منه .

وقد كانت عصبياتهم القديمة تجعلهم يكظمون أسباب الطلاق في نفوسهم ، فنفس في أمور كثيرة ، تعلق بكل شيء ، وأقل ما تعرضت له قضية ولوغ الرجال في أعراض الآخرين ؛ لأنه يكره المرأة . والقانون يلزمه بأن يعيش مع المرأة وذلك لون من الإلزام خارج عن نطاق الطبع ونطاق الإلف ونطاق العادة .

وإذا كان - كما قالوا - إن محاكم المسلمين مازالت ممثلة بقضايا الطلاق ؛ فنقول لهم : ليس ذلك حجة ضد قضية الطلاق في الإسلام ولكنها قد تكون حجة ضد تطبيق قضايا الإسلام في مسألة اللقاء .

فالذين دخلوا على الزواج بغير معايير الإسلام وقوانين القرآن من الضروري أن يحدث بينهم هذا الشقاق .

ولكن أتحدى أن يكون رجل دخل على الزواج بقانون القرآن ، وامرأة قبلت الزواج بقانون القرآن ، ثم يأتي بعد ذلك شيء يعكر صفو الحياة .

فإذا ما دخلا بغير مقاييس القرآن ، كأن تنكح المرأة رغبة في جمالها ، ثم يزول هذا الجمال . أو رغبة في مالها ، ثم تضيئ بهذا المال . أو رغبة في حسبها وعزها وأسرتها ، ثم تكون هذه العزة وهذه الأسرة سوطاً عليه!

إذن . . فكل شيء إنما جاء لأن فيه مخالفة ولو أنه لا مخالفة في الدخول ما جاء أمر الخروج للناس على بال ، لأن الذي يدخل بمنهج الله قصداً يمكن إن أحب أن ينفصل أن يخرج بمنهج الله قصداً : ﴿ فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّي اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء : ٣٥] .

ولكن الناس تفهم في قضية الحكم فهماً آخر ، تفهم في قضية الحكم أنه دخل مصلحاً ؛ لا إنه دخل حاكماً ، بمعنى أن يفوض الحكم من جهة المرأة ، والحكم من جهة الرجل في أن يبرما أمراً يكون له قوة الحكم ، لا قوة المشورة .

حين يكون الأمر كذلك تنتهي مسائل النزاع ، وتقتل أسباب النزاع ، ستراً للأعراض في بعض الأحيان ، وسترًا لشراسة الأخلاق في بعض الأحيان الأخرى وفي الستر ما يغني الناس عن وجود الأسباب ، لأن الله ملك الأمر في الطلاق للرجل مخافة أن نقول له : إعرض أسباب طلاقك ، فيعرض أسباب طلاقه ، فقد تكون حائلاً ومانعاً أن تجد المرأة زوجاً آخر ، أو أن يجد الرجل زوجة أخرى .

فحين جعلها حقاً ستر وراءه كثيرا من الأشياء التي تحمي أعراض الأسر .

هكذا يجب أن تكون الخميرة الإيمانية في الرد على كثير من الأقضية^(١) .

(١) قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَطْلُقْ مَرَّتَيْنِ فَمَا سَأَلَ بِعَدْوٍ أَوْ تَرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُغْنِيَا عَنْهُمَا حُدُودُ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَغْنِيََا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] . سبب نزول الآية : قال القرطبي [١٢٦/٣] : ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد ، وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة ، وكان هذا في أول الإسلام برهة ، يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق ، فإذا كادت تحل من طلاقه راجعها ما شاء ، فقال رجل لامرأته على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : لا آويك ولا أدعك تجلين ، قالت : وكيف ؟ قال : أطلقك فإذا دنا مضى عذتي راجعتك . فشكت المرأة ذلك إلى عائشة ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرتجع بدون تجديد مهر وولى ، ونسخ ما كانوا عليه . قال معناه عروة بن الزبير وقتادة وابن زيد وغيرهم ، وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم : المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق ، أى من طلق اثنتين فليتيق الله في الثالثة ، فإذا تركها غير مظلومة شيئا من حقها ، وإما أمسكها محسنا عشرتها والآية تتضمن هذين المعنيين .

تعريف الطلاق : قال في الفتح [٤٣٥/١٠] : الطلاق في اللغة : حل الوثاق ، مشتق من الإطلاق ، وهو الإرسال والترك .

وقال إمام الحرمين : هو لفظ جاهلي ورد الشرع بتقريره .

وقال القرطبي [١٢٦/٣] : الطلاق هو حل العصمة المنعقدة بين الأزواج باللفظ مخصوصة .

= وقال الشيخ سيد سابق في فقه السنة [٢/ ٢٧٨] : هو حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية .

حكمه : منه ما هو محرم بالكتاب والسنة والإجماع ، ومنه ما ليس بمحرم . فالطلاق المباح باتفاق العلماء هو : أن يطلق الرجل امرأته طليقة واحدة ؛ إذا طهرت من حيضتها بعد أن تنسل وقبل أن يطأها . ثم يدعيها فلا يطلقها حتى تنقضي عدتها ، وهذا الطلاق يسمى طلاق السنة .

فإن أراد أن يرتجعها في العدة فله ذلك بدون رضاها ، ولا رضا وليها ولا مهرًا جديدًا ، وإن تركها حتى تنقضي العدة فعليه أن يسرحها بإحسان فقد بانت منه . فإن أراد أن يتزوجها بعد انقضاء العدة جاز له ذلك ، لكن يكون بعقد ؛ كما لو تزوجها ابتداء .

وإن كانت المرأة ممن لا تحيض لصغرها أو كبرها فإنه يطلقها متى شاء ، سواء كان وطئها أم لم يطأها ، فإن هذه عدتها ثلاثة أشهر .

الطلاق المحرم باتفاق العلماء هو : أن يطلق الرجل امرأته في الحيض ، أو بعد أن وطئها وقبل أن يتبين حملها ، فهذا الطلاق محرم ، ويسمى : طلاق البدعة ، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع .

وإن طلقها ثلاثاً ، في طهر واحد بكلمة واحدة أو كلمات ، مثل أن يقول : أنت طالق ثلاثاً ، أو أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ، ونحو ذلك من العبارات .

فهذا للعلماء فيه ثلاثة أقوال ، ورابع محدث مبتدع :

الأول : أنه طلاق مباح لازم . وهو قول الشافعي ، وأحمد في الرواية القديمة عنه .
الثاني : أنه طلاق محرم لازم . وهو قول مالك ، وأبي حنيفة ، وأحمد في الرواية المتأخرة عنه . اختارها أكثر أصحابه ، وهذا القول منقول عن كثير من السلف .
الثالث : أنه محرم ولا يلزم منه إلا طليقة واحدة . وهذا القول منقول عن طائفة من السلف والخلف .

الرابع : أنه لا يلزمه شيء^(١) ، وهو الذي قاله بعض المعتزلة والشيعة ، ولا يُعرف عن أحد من السلف .

الألفاظ التي يقع بها الطلاق :

قال ابن حزم لا يقع طلاق إلا بلفظ من أحد ثلاثة ألفاظ :

إما الطلاق ، وإما السراح ، وإما الفراق .

مثل أن يقول : أنت طالق ، أو يقول : مطلقة ، أو قد طلقتك - أو أنت طالقة ، أو أنت الطلاق - أو أنت مريحة ، أو قد سرحتك ، أو أنت السراح - أو أنت مفارقة ، أو قد فارقتك ، أو أنت الفراق ؛ هذا كله إذا نوى به الطلاق .

(١) لمزيد من التفصيل راجع فتاوى ابن تيمية [٣٣/ ٥ - ٩] .

برهان ذلك : قوله عز وجل : ﴿ تَزَوَّجْنَا بَعْضَهُمُ بَأُخْرَاهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] . وقوله تعالى : ﴿ طَلَّقُوا نِسَاءَهُنَّ ﴾ [الطلاق : ١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا طَلَّقْتِ نَسْعًا ﴾ [البقرة : ٢٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَزَوَّجُوا نِسَاءَكُمْ بِحَبْلٍ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] . وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ طَلَّقْتِ نِسَاءَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَزَوَّجُوا نِسَاءَهُنَّ بِحَبْلٍ ﴾ [الطلاق : ٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتِ نِسَاءَهُنَّ فَتَزَوَّجُوا نِسَاءَهُنَّ بِحَبْلٍ ﴾ [النساء : ١٣٠] .

لم يذكر الله تعالى حل الزوج للزوجة إلا بهذه الألفاظ ، فلا يجوز حل عقدة عقدت بكلمة الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا بما نص الله عز وجل عليه ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [الطلاق : ١] .

وأما قولنا : إن نوى مع ذلك الطلاق - فلقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » .

وأما ألفاظ « السراح » ، والفراق « فإنها تقع في اللغة التي بها خاطبنا الله عز وجل في شرائعه على حل عقد النكاح ، وعلى معانٍ أخرى وقوعاً مستويًا ليس معنى من تلك المعاني أحق بتلك اللفظة من سائر تلك المعاني ، فيكون : أنت مسرحة ، أي : أنت مسرحة للخروج إذا شئت ، ويقول : قد فارقتك ، وأنت مفارقة ، في شيء مما بينهما ما لم توافقه فيه ؛ فلما كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم بحل عقد صحيح بكلمة الله عز وجل بغير يقين ما يوجب حلها ، وبالله تعالى التوفيق .
المحلى [١١ / ٤٩٣ ، ٤٩٤] مسألة : [١٩٦٠] .

وقال الدكتور عبد الكريم زيدان : إن الصيغة الصريحة في الطلاق تكون باللفظ الصريح الدال عليه ، أو بما يقوم مقامه في هذه الدلالة ، فما هو اللفظ الصريح في الطلاق ؟ قال صاحب « مغنى المحتاج » : « وهو ما لا يحتمل ظاهره غير الطلاق » ^(١) وقال صاحب « كشف القناع » في تعريفه الصريح في الطلاق هو : « ما لا يحتمل غيره بحسب الوضع العرفي » ^(٢) ، وفي « الهداية » في فقه الحنفية في تعريف اللفظ الصريح في الطلاق : « هو الذى يستعمل فى الطلاق ، ولا يستعمل فى غيره » ^(٣) ويوضح ذلك الإمام علاء الدين الكاسانى بقوله : « الألفاظ التى يقع بها الطلاق فى الشرع نوعان : صريح وكناية . أما الصريح ، فهو اللفظ الذى لا يستعمل إلا فى حل قيد النكاح . وسمى هذا النوع صريحاً ؛ لأن الصريح فى اللغة اسم لما هو ظاهر المراد مكشوف المعنى عند السامع » ^(٤) .

(١) مغنى المحتاج فى فقه الشافعية [٣ / ٢٧٩] .

(٢) كشف القناع فى فقه الحنابلة [٣ / ١٤٧] ومثله فى شرح الأزهار فى فقه الزيدية [٢ / ٣٨١] .

(٣) الهداية [٣ / ٤٤] .

(٤) البدائع للكاسانى [٣ / ١٠١] .

= وفي ضوء ما ذكرنا من تعاريف للفظ الصريح في الطلاق ، يمكن القول بأن اللفظ الصريح في الطلاق هو : اللفظ الذي لا يستعمل إلا في حل عقد النكاح في عرف من نطق به ، والسامع له ، والموجه إليه ، بناء على الوضع اللغوي لهذا اللفظ ، أو بناء على العرف العام عند الناس في استعمال هذا اللفظ في هذا المعنى .

طلاق السنة وطلاق البدعة :

الطلاق منه طلاق سنة أباحه الله تعالى ، وطلاق بدعة حرمه الله .

فطلاق السنة أن يطلقها طليقة واحدة إذا طهرت من الحيض قبل أن يجامعها ، أو يطلقها حاملاً قد تبين حملها .

فإن طلقها وهي حائض ، أو وطئها وطلقها بعد الوطء قبل أن يتبين حملها فهذا طلاق محرم بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين .

وتنازع العلماء : هل يلزم ؟ أو لا يلزم ؟ على قولين ، والأظهر أنه لا يلزم .

وإن طلقها ثلاثاً بكلمة ، أو بكلمات في طهر واحد قبل أن يراجعها مثل أن يقول : أنت طالق ثلاثاً ، وأنت طالق ألف طليقة . أو أنت طالق ، أنت طالق ، أنت طالق ونحو ذلك من الكلام ؛ فهذا حرام عند جمهور العلماء من السلف والخلف ، وهو مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد في ظاهر مذهبه ، وكذلك لو طلقها ثلاثاً قبل أن تنقضي عدتها ؛ فهو أيضاً حرام عند الأكثرين ، وهو مذهب مالك وأحمد في ظاهر مذهبه .

وأما « السنة » إذا طلقها طليقة واحدة لم يطلقها الثانية حتى يراجعها في العدة ، أو يتزوجها بعقد جديد بعد العدة ، فحينئذ له أن يطلقها الثانية وكذلك الثالثة ، فإذا طلقها الثالثة كما أمر الله ورسوله ، حُرمت عليه حتى تنكح زوجاً غيره .

وأما لو طلقها « الثلاث » طلاقاً محرماً ، مثل أن يقول لها : أنت طالق ثلاثاً جملة واحدة . فهذا فيه قولان للعلماء :

أحدهما : يلزمه الثلاث .

والثاني : لا يلزمه إلا طليقة واحدة ، وله أن يراجعها في العدة ، وينكحها بعقد جديد بعد العدة .

وهذا قول كثير من السلف والخلف ، وهو قول طائفة من أصحاب مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل ؛ وهذا أظهر القولين ؛ لدلائل كثيرة ؛ منها ما ثبت في الصحيح عن ابن عباس قال : كان الطلاق الثلاث على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدرًا من خلافة عمر واحدة^(١) .

ومنها ما رواه الإمام أحمد وغيره بإسناد جيد عن ابن عباس : أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إنما هي =

(١) رواه مسلم [١٤٧٢/١٥-١٧] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

= واحدة وردها عليه ، وهذا الحديث قد ثبته أحمد بن حنبل وغيره^(١) .
 وسبب ذلك أن « الأصل في الطلاق الحظر » وإنما أبيح منه قدر الحاجة كما ثبت في الصحيح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن إبليس يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه ؛ فإدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما صنعت شيئاً ، قال : ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ؛ قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت »^(٢) .
 وقد قال تعالى في ذم السحر : ﴿ فَتَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُدْرِجُونَ بِالْكَذِبِ فِي الْكَلِمَةِ وَالْجَهَنَّمَ » . وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن المختلعات والمختلعات هن المنافقات »^(٣) .
 وفي السنن أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس ؛ فحرام عليها رائحة الجنة »^(٤) ولهذا لم يبح إلا ثلاث مرات ، وحرمت عليه المرأة بعد الثالثة حتى تنكح زوجاً غيره ، وإذا كان إنما أبيح للحاجة ، فالحاجة تندفع بواحدة ، فما زاد فهو باق على الحظر .
 طلاق البدعة هل يقع ؟
 الطلاق المحرم الذي يسمى « طلاق البدعة » إذا أوقعه الإنسان هل يقع ، أم لا ؟ فيه نزاع بين السلف والخلف .
 والأكثر يقولون بوقوعه مع القول بتحريمه .
 وقال آخرون : لا يقع . مثل طاووس ، وعكرمة ، وجلاس بن عمرو ، ومحمد بن إسحاق ، وحجاج بن أرطاة ، وأهل الظاهر كداود وأصحابه . وطائفة من أصحاب أبي =

(١) رواه أحمد في المسند [٢٦٥/١] ، وقال الشيخ شاکر [٢٣٨٧] : إسناده صحيح ، ورواه أبو داود

[٢٢٠٨] ، وابن ماجه [٢٠٥١] وضعفه الألباني ، وانظر الإرواء [١٣٩/٧]

(٢) رواه مسلم [٦٧/٢٨١٣] .

(٣) رواه أحمد في المسند [٤١٤/٢] ، والنسائي في المجتبى [٣٤٦١/١٦٨/٦] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وصححه الألباني ، ورواه ابن جرير الطبري في التفسير [٤٦٧/٢] ، والطبراني في المعجم الكبير [٩٣٥/٣٣٩/١٧] عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه ، وذكره الهيثمي في الزوائد [٨/٥] وقال : رواه الطبراني ، وفيه قيس بن الربيع ، وثقه الثوري وشعبة ، وفيه ضعف ، وبقي رجاله رجال الصحيح .

(٤) رواه أحمد في المسند [٢٨٣/٢٧٧/٥] ، وأبو داود [٢٢٢٦] ، والترمذي [١١٨٧] ، وابن ماجه [٢٠٥٥] ، وابن الجارود في «المنتقى» [٧٤٨] ، وابن حبان [٤١٨٤] ، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، والبيهقي في السنن الكبرى [١٤٦٣٧/٣١٦/٧] من حديث ثوبان ، مرفوعاً بلفظ : «أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» وهذا لفظ أبي داود . وقال الألباني : صحيح .

= حنيفة ومالك وأحمد ، ويروى عن أبي جعفر الباقر ، وجعفر بن محمد الصادق ، وغيرهما من أهل البيت ^(١) .

والذين لا يرون الطلاق المحرم لازماً يقولون : هذا هو الأصل الذى عليه أئمة الفقهاء : مالك ، والشافعى وأحمد ، وغيرهم . وهو :

أن إيقاعات العقود المحرمة لا تقع لازمة : كالبيع المحرم ، والنكاح المحرم ، والكتابة المحرمة ، ولهذا أبطلوا نكاح الشغار ، ونكاح المحلل ، وأبطل مالك وأحمد البيع يوم الجمعة عند النداء ؛ وهذا بخلاف الظهار المحرم ؛ فإن ذلك نفسه محرم ؛ كما يحرم القذف ، وشهادة الزور . واليمين الغموس ، وسائر الأقوال التى هى فى نفسها محرمة ؛ فهذا لا يمكن أن ينقسم إلى صحيح وغير صحيح : بل صاحبها يستحق العقوبة بكل حال ، فعوقب المظاهر بالكفارة ، ولم يحصل ما قصده به من الطلاق ؛ فإنهم كانوا يقصدون به الطلاق وهو موجب لفظه ؛ فأبطل الشارع ذلك لأنه قول محرم ؛ وأوجب فيه الكفارة .

أما الطلاق فجنسه مشروع : كالنكاح والبيع ؛ فهو يحل تارة ويحرم تارة ، فينقسم إلى صحيح وفاسد ، كما ينقسم البيع والنكاح . والنهى فى هذا الجنس يقتضى فساد المنهى عنه ، ولما كان أهل الجاهلية يطلقون بالظهار فأبطل الشارع ذلك ؛ لأنه قول محرم : كان مقتضى ذلك أن كل قول محرم لا يقع به الطلاق وإلا فهم كانوا يقصدون الطلاق بلفظ الظهار ؛ كلفظ الحرام . وهذا قياس أصل الأئمة : مالك ؛ والشافعى ، وأحمد .

ولكن الذين خالفوا قياس أصولهم فى الطلاق خالفوه لما بلغهم من الآثار . فلما ثبت عندهم عن ابن عمر أنه اعتد بتلك التعليلة التى طلق امرأته وهى حائض ، قالوا : هو أعلم بقصته ، فاتبعوه فى ذلك .

ومن نازعهم يقول : مازال ابن عمر وغيره يروون أحاديث ولا تأخذ العلماء بما فهموه منها ؛ فإن الاعتبار بما روه ؛ لا بما رأوه وفهموه .

وقد ترك جمهور العلماء قول ابن عمر الذى فسر به قوله : « فاقدروا له » ^(٢) وترك مالك وأبو حنيفة وغيرهما تفسيره لحديث « البَيْعَانُ بالخيار » ^(٣) مع أن قوله هو ظاهر =

(١) وقع فى الأصل : « وخلاس ، وعمر » والصواب المثبت ، وهو من رجال السنة ، ثقة وكان يرسل .
التقريب [١٧٨٠] ، المحلى [مسألة : ١٩٥٣] ، زاد المعاد [٢٢١/٥ - ٢٤١] .

(٢) جزء من حديث رواه البخارى [١٩٠٦] ، من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعاً بلفظ : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه ، فإن غم عليكم فاقدروا له » . ومسلم [٣/١٠٨٠] .

(٣) جزء من حديث رواه البخارى [٢٠٧٩] ، من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما مرفوعاً بلفظ : « البيعان بالخيار مالم يتفرقا - أو قال : حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كنما وكذبا محقت بركة بيعهما » ، ومسلم [٤٣/١٥٣١] .



= الحديث . وترك جمهور العلماء تفسيره لقوله : ﴿ فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنْ يَنْبَغَ ﴾ . وقوله : نزلت هذه الآية في كذا .

وكذلك إذا خالف الراوى ما رواه ، كما ترك الأئمة الأربعة وغيرهم قول ابن عباس أن بيع الأمة طلاقها ، مع أنه روى حديث بريرة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم خيرها بعد أن بيعت وعتقت^(١) ، فإن الاعتبار بما رووه ، لا ما رأوه وفهموه .

الطلاق الذى يقع :

والطلاق الذى يقع بلا ريب هو الطلاق الذى أذن الله فيه وأباحه ، وهو : أن يطلقها فى الطهر قبل أن يطأها ، أو بعد ما يبين حملها - طلقه واحدة^(٢) .

فأما « الطلاق المحرم » مثل أن يطلقها فى الحيض ، أو يطلقها بعد أن يطأها وقبل أن يبين حملها : فهذا الطلاق محرم باتفاق العلماء . وكذلك إذا طلقها ثلاثاً بكلمة أو كلمات فى طهر واحد ، فهو محرم عند جمهور العلماء .

وتنازعوا فيما يقع بها ، فقيل : يقع بها الثلاث . وقيل : لا يقع بها إلا طلقه واحدة ، وهذا هو الأظهر الذى يدل عليه الكتاب والسنة ، كما قد بسط فى موضعه .

وكذلك الطلاق المحرم فى الحيض وبعد الوطء : هل يلزم ؟ فيه قولان للعلماء ، والأظهر أنه لا يلزم ، كما لا يلزم النكاح المحرم ، والبيع المحرم .

وقد ثبت فى الصحيح عن ابن عباس قال . كان الطلاق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وصدر من خلافة عمر : طلاق الثلاث واحدة^(٣) . وثبت أيضاً فى مسند أحمد : أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته ثلاثاً فى مجلس واحد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « هى واحدة »^(٤) ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف هذه السنة ، بل ما يخالفها إما أنه ضعيف ؛ بل مرجوح . وإما أنه صحيح لا يدل على خلاف ذلك ، كما قد بسط ذلك فى موضعه . والله أعلم .

فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : كتاب « الطلاق » [٧١ : ٧٠ / ٣٣] .

(١) جزء من حديث رواه البخارى [٥٢٨٣] .

(٢) يجدر الإشارة إلى أن فضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشعراوى حفظه الله تعالى يأخذ برأى الجمهور فى هذه المسألة ، ويقول بوقوعه مع القول بتحريمه .

(٣) رواه مسلم [١٤٧٢ / ١٥ - ١٧] ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، بلفظ : « كان الطلاق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وستين من خلافة عمر ، طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم ، فأمضاه عليهم » .

(٤) رواه أحمد فى المسند [٢٦٥ / ١] ، وقال الشيخ شاكِر [٢٣٨٧] : إسناده صحيح ، وأبو داود [٢٢٠٨] ، وضعفه الألبانى ، وانظر الإرواء [٢٠٦٣] .

obeikandi.com

الإسلام أداة تجميع.. أم وسيلة تفريق ؟!

في فصل سابق أجبنا بحمد الله تعالى على اعتراض وُجّه لقضية الإسلام في المرأة ، وهو : أنه أباح للرجل أن يُعَدِّد وحرَمَ على المرأة أن تُعَدِّد .
وقلنا : إننا إذا نظرنا إلى البيئات التي تبيع وجود جماعات من النساء يرتاح الفتيان عندهن جنسياً ، وسألنا عن الاحتياط الصحي في هذه المسألة ، فأجبنا بأن الاحتياط الصحي قائم في كل أسبوع مرتين ، وفي المفاجآت .
فما كان مني إلا أن سألتهم : أفعلتم ذلك الاحتياط الصحي على المتزوجات ؟!

فكان الجواب أولاً بالدهشة ، ثانياً بالمنع ، لأنه لا .
فقلت : هل سألتم أنفسكم : لماذا لم تصنعوا ذلك مع المتزوجات ؟
فقالوا : لم يكن ذلك محل بحث .
فقلت : أنا أقول لكم إنكم لم تبحثوا ، لأنكم لم تجدوا ضرورة تلجئكم إلى أن تبحثوا . ولكنكم لو وجدتم ضرورة في أن تبحثوا كما وجدتموها في النساء اللائي يتردد عليهن الرجال من انتشار الأمراض الخبيثة لألزمكم ذلك أن تكشفوا على كل متزوجة .
أتعرفون السبب ؟
فكان الجواب بالنفي .

فقلت لهم : أنا أقول لكم ؛ السبب في أن المرض الخبيث لا ينشأ إلا من تعدد ماء الرجال في المحل الواحد .
أما أن يوجد محل واحد لماء واحد ، فلا خطر منه بمرض خبيث .

فأخذتهم الدهشة ، وأخذهم العجب ؛ لأن الإسلام وصل إلى هذه المسألة ، أقول : نحن لم نصل إليها تحليلًا ، لم نصل إليها تحت ضغط الأحداث والأمراض التي تفاجئنا ، ولكننا انتهينا إليها لأن الذي آمننا به بدأ التشريع بها ، ولم يتركنا إلى أن نُوجد العلاج بعد أن نشقى بالداء .

وهذه هي آفتكم أنتم ، آفتكم أنكم لا تذهبون إلى الدواء إلا بعد الشقاء من الداء ؛ ولكن القرآن عصمنا من أن نشقى بالداء ، لأنه شرع لنا بعد ذلك ابتداء ؛ وربما كنا لا نعرف العلة ، وأخذناها حكماً مسلماً من حكيم .

ولكننا بعد أن بحثنا الأشياء بحثاً دقيقاً انتهينا إلى الحكمة فيها .

وهكذا دائماً نؤمن بأن كل قضية حكم فيها الإسلام حكماً قد يقف العقل في حكمتها وفي أسبابها ، سيُنير الله له الطريق بأن يعرف الحكمة في كثير مما غابت عنه حكمته ، ليزداد إيماناً بما ظلت حكمته غائبة عنه .

تلك القضية انتهينا منها ، ثم ارتقينا إلى قضية أساسية ، وهي معنونة في الكتاب الذي وصل بـ : « ثلاثة الأسافى » .

ثلاثة الأسافى : لأن الأسفية الأولى إنما جاءت في منطق الإلحاد بالله والتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والثانية : جاءت في المرأة على العموم ، وقضاياها المتعددة .

وهذه ثلاثة الأسافى : يعني الداهية القاصمة ، الداهية الدهياء .

وكلمة : « ثلاثة الأسافى » هذه وإن شاعت على ألسنة الناس في كثير من التعبيرات ، يعبرون بها عن الشيء الفظيع ، الشيء العظيم ، فكان ما قبله قد يحتمل ، وما بعده لا يحتمل .

وهذه مأخوذة حتى نشرح لكم المسألة :

« ثلاثة الأسافى » : « الأسافى » جمع « أسفية » .

« أسفية » : هي الحجر يوضع تحت القدر ليسنده .

القدر حيث يوضع يحتاج إلى ثلاثة أحجار ، حجر على اليمين ، وحجر على الشمال ، وحجر خلف القدر .

طبعاً لا نعمل حجراً في الأمام لأننا نريد أن نضع الوقود .

إذن نضع ثلاثة أحجار ؛ حجر هنا وحجر هنا وحجر هنا .

فكان الناس قديماً حين يضعون القدور يكتبون باثنتين فقط : أسفية على اليمين وأسفية على اليسار .

ثم تكون الأسفية الثالثة الجبل ؛ لأنه يسندها للجبل ، يأتي بواحدة يمين وواحدة شمال ، والثالثة تكون الجبل .

فالجبل هذا لما يكون ثلاثة الأسافي ؛ انظر إلى الجبل بالنسبة للحجر الموضوع هنا والحجر الموضوع هنا . يكون داهية كبيرة جداً .

لأن الجبل ضخّم جداً ، والحجر الثاني صغير فيقول ثلاثة الأسافي يعني الداهية الفظيعة ، الداهية العظيمة .

ما هي ثلاثة الأسافي ؟

ثلاثة الأسافي أنهم قالوا : يجب أن تستغلوا ظاهرة إسلامية ؛ هذه الظاهرة الإسلامية تنقض قضية الدين من أساسها ؛ لأن الإسلام لم يعد مجمعا ، بل آل إلى أن يكون مفترقا ، فاستغلوا هذه الظاهرة في الإسلام .

الإسلام جاء أولاً ليجمع ؛ الإسلام الآن في بلاد المسلمين وجد ليفرق ، وآثار ذلك ظاهرة في كل بلاد الإسلام .

فالمذاهب الرعناء ، والطوائف الحمقى ، والفئات التي اتخذت من دين الله ، كل طائفة أخذت لوناً تعصبت له ، ولم تر الإسلام إلا فيه ، بل ربما تسامى بها الأمر ، أو تنازل بها الأمر لدرجة أنها تكفر المذاهب الأخرى .

تلك قضية جعلت الإسلام الآن وسيلة تفريق لا وسيلة تجميع .

انظروا كيف فطنوا إلى واقع المسلمين إنهم أعدوا لذلك الأمر

بالأساطين من أساتذة التبشير ، وفطاحل رجال الكهنوت ، والمتمرسين بأمر الدعوة والتبشير ، وعلماء الجامعات فى علوم الاجتماع والأنساب والسلالات البشرية ، والمتمرسين بشؤون العالم النامي كله - أى الدارسين له الواقفون على حقيقة تكوينه .

لاشك أنهم رأوا الإسلام مذاهب وفرقا وطوائف وكل مذهب يرى نفسه هو الأحق بأن يُنسب إليه الإسلام أو يُنسب إلى الإسلام ويكفر الطوائف الأخرى .

فعلى هذا يصبح الإسلام لا مبدأ لجميع للناس ولكنه يصبح تفريقا . استغلوا هذه المسألة وقالوا : قولوا لهم ؛ أى إسلام هؤلاء صحيح ؟ فإن كان الإسلام صحيحا فى مذهب ، فالمذاهب الأخرى باطلة ، وإن كان صحيحاً فى طائفة فالطوائف الأخرى باطلة .

إذن فيجب أن تدخلوا من باب تمزيق الإسلام بالمذهبية والطائفية إلى أن الإسلام ليس هو الإسلام ، وأنه إن وافقه واحد فقد خالفه كثير من هؤلاء .

انظروا كيف درسوا قضية الإسلام ، وانظروا كيف مهد المسلمون بجعل دينهم فرقا إلى الأعداء ليدخلوا من هذا الباب ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

هذه الظاهرة إنما نشأت لخطأ المسلمين فى فهم كثير من قضايا الدين الأساسية .

وقضايا الدين الأساسية جاءت من عند الله ، والله حق والله حكيم . لا يمكن أن يغفل عن شيء فيه مصلحة للخلق ، ولا يمكن أن يجعل لمبدأ يفرق الخلق أن يتسلل إلى منهجه ؛ لأنه حق وأنه حكيم . وكثير من المبادئ الوضعية لها ظاهر يروق ودافع يجذب . مهما كان أمر هذا المذهب ؛ فمثلاً :

الشيوعية : لها لون يعجب ، وبالتطبيق يأتي اللون الذي لا يعجب ؛
يتعب .

الرأسمالية : لها لون يعجب ، وأيضاً لها لون يتعب .
إذن فكل ناحية من نواحي التفكير البشري لا يمكن أن تدخل على
العالم لتغزوه بقبح إجماعي ، بل لابد أن تدخل عليه بلون جمالي مزخرف ،
وإن سترت في طيها أشياء .

إذن .. فكل أمر يهتدي إليه الفكر لابد أن يكون له ناحية جمال تغري
ويستطيع الإنسان أن يقدمها بين يدي مطلوبة .
مثلاً : في النظام السياسي ؛ يوجد شيء اسمه : « دكتاتورية » ويوجد
مقابل لها على النقيض : « ديموقراطية » .

أنا اعذروني في استعمال هذين اللفظين الوافدين على اللغة والوافدين
على بيئة الإسلام ؛ لأننا أخذنا كل حضارتنا مستوردة من الخارج .
النظام الدكتاتوري حين يجيء لابد أن تكون فيه فكرة تروق للناس ،
حتى يمكن أن يتغلغل ثم يأتي في طي الأشياء التي في صالح الدكتاتور .
نقول له : لو أن كل أمر أردنا أن نصلح به ، وتركناه إلى أن نأخذ
جمهرة رأي الناس فيه لما التقينا على شيء ، ولكننا معوقين ، إلى أن نصل
إلى أمر الاتفاق إلا أن الناس أهواؤها متماثلة .

ولذلك قالوا : « لا ينفع الشرق إلا مستبد عادل » ماذا تعني كلمة :
« مستبد عادل » ؟

« مستبد » يعني : لا أحد يقدر يقول له : لماذا فعلت هذا ، لكن
يكون عادلاً حتى لا يفرض إلا الشيء الصحيح .
وهذا لماذا ؟

قالوا : حتى يخرج من غوغائية النقاش ، وجماهيرية الاستفتاء .
ولازم أن يكون إنساناً دارياً ويفهم .

إذن . . فالدكتاتورية لها لون قد يفيد في أن كثيرا من الأمور يبت فيها بسرعة وبحزم ولن تدخل فيها الغوغائية .

لكن من يضمن لنا أن الذي يفعل ذلك سيحتاط لكل الأمر ولا يأتي إلا بقضايا عدل وقضايا حق ؟!

إذن زاوية الشر تأتي من الناحية الثانية فيوجد ملمح خير ، وتوجد ملامح شر .

والديمقراطية : فيها ملامح بالناس ستحكم بما ترضيه .
قالوا : إنما تطول إذن ، وهذا أخذ ، وهذا رد ، وهذا كذا . إلخ . .
حتى نخرج قرارا . فنؤجل كثيرا من أعمال الإصلاح .

قالوا : لكن تكون نابعة من الكل ، ليس واحدا هو الذي يفرض .
نقول له : أيضاً فيها ناحية ملمح جمالي ، إنما فيها ملامح ثانية ناقصة .

يقولون : صحيح .
كما أن الشيوعية فيها ناحية حُسن ، فإن الرأسمالية فيها ناحية حسن .
الرأسمالية فيها ناحية الحاكم ، والاشتراكية فيها ناحية الاستطراق الاقتصادي والنفع . لكن هذه فيها مساوئ وهذه فيها مساوئ .

إذن . . لا يوجد أي شيء تستطيع أن تقتحم به على الجماهير أو على المجتمع إلا إذا كان لها ناحية جمالية تروق أولاً .

بدليل أنه يوجد في العصر الواحد ، القليل الإمكانيات ، والقليل الأجواء مبدئين متناقضين وكان المفروض إنه مادام العصر عصر ارتقاء إننا نلتقي في المسائل .

لا بل يوجد قضايا متقابلة متضادة .

نقول له : إذن هذا له أنصار ، وهذا له أنصار . لو نظرت إلى دين الله لوجدته قد أخذ الحسن في جانب الدكتاتورية ، وترك ملامح القبح فيها .

وأخذ الحسن فى جوانب الديمقراطية ، وترك ملامح الشر فيها .
فأعطانا الأمرين بسوية وبعدالة ، وأخذ من كل اتجاه خير .
فالأمور التى يجب أن يبت فيها بحزم ولا يترك لأهواء البشر فيها مجالا
شرعها الله تشريعاً لا يجعل لأحد استدراكا عليها أبدا .

obeikandi.com

الحق واحد... أم متعدد ؟!

انتهينا فى الفصل السابق إلى قضية يريد أن يستغلها خصوم الإسلام ليدخلوا منها إلى تشكيك المسلمين فى دينهم وإيمانهم .

وقلنا : إن هذه القضية تتركز فى أن الإسلام الآن لم يعد أداة تجميع ، بل أصبح فى بلاد المسلمين وسيلة تفريق .

فكل مذهب يكفر المذهب الآخر ، وكل طائفة تكفر الطائفة الأخرى ، وهكذا أصبح الإسلام طوائف متعددة ، ومذاهب متباينة ، لا تعيش فى فلك التآلف والتناصر ، ولكن تعيش فى فلك الجدل والتناقض .

وقلنا إن خصوم الإسلام يريدون أن يدخلوا إلى المسلمين من هذه الزاوية .

فنقول : إن العلماء المسلمين أو الجمهرة الإسلامية يجب أن تنبه إلى شىء مقصود للمشرع الأعلى .

هذا الشىء هو أن كل أمر من أمور الحياة فيها أمور يجب البت فيها بحزم وعزم وعدم تردد ، وأمور أخرى من الممكن أن تؤدي نواحي الخير على أى لون من الألوان تجيء .

وعلى هذا فالحركة الحياتية محكومة بأمرين : أمر ضروري أن يوجد سريعاً ومبتوتاً فيه بحزم . وأمور تأتي هيئة من الممكن أن تنفث على الناس باختياراتهم لتحقيق لهم مبدأ الذاتية فى الاختيار ، فلا تكبت أدوات الاختيار فى نفوسهم ، وهى أداة الاختيار بين البديلات ، ليشعر الإنسان أن له رأياً فيما يقنن عليه .

وقلنا : إننا إذا نظرنا إلى المبادئ الوضعية فى البشر ، وجدنا نظامين :
النظام الأول : نظام يسمونه الدكتاتورى .

والنظام الثانى : يسمونه الديمقراطى .

الدكتاتورى هذا ظاهرته الأساسية : الاستبداد فى أخذ القرار بدون مشورة أحد .

والديمقراطى : ينشأ الأمر من أسفل ويرقى إلى أن يصير مبتوتا فيه .

كل مبدأ من مبادئ البشر ولو كان ضعيفا يستهل مجيئه بناحية الجمال ،
فيبرزها أولاً ، ثم يستر وراءها ما يريد من نواح أخرى . والدكتاتورية
تستغل هذا الأمر :

فلو أننا أخذنا آراء الناس فى كل قضية لتأجل كثير من القضايا ودخل
الللجاج ودخل التناظر كل شئ ، ودخل الاستعلاء ، ودخلت الجماهيرية ،
فلا بد من أشياء نبت فيها . ذلك ناحية الجمال فيها . ولكنها تستر فى داخله
ناحية أخرى من نواحي الشر ، وندس فيها نواحي أخرى ، النواحي التى لم
تكن حيثية وجود الدكتاتورية .

والديمقراطية : أيضاً تدخل من ناحية الجمال فيها .

ومن العجيب - كما قلنا - أننا نجد المبدأين موجودين فى زمان تكاد
الفرص فيه تكون واحدة ، وتكاد الإمكانيات فيه تكون واحدة ، وتكاد
الروح السعيدة أن تكون واحدة ، وتكاد الالتقاءات أن تكون واحدة .

نقول : إذن ففي كل ناحية من النواحي جمال ، ولكن هذه الناحية لا
تقتصر على ناحية الجمال ، بل يدس فى ثناياها كثير من ملامح القبح .

الإسلام لو نظرنا إليه كدين من الله الحق الحكيم ، وجدناه يمثل
النظريتين .

فالأمر الذى يراد فيه البت والحزم يبتها بتا ويحزم الأمر فيها حزما
وحتما يشبه حزم الدكتاتورية مع الفارق بالطبع ، بحيث لا رأى لأحد

فيه . ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١) [الأحزاب : ٣٦] .

(١) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه ، فاستنكفت منه ، وقالت : أنا خير منه حسباً ، وكانت امرأة فيها حدة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] الآية كلها (٢) . وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل أنها نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولاه زيد بن حارثة . وقال عبد الرحمن بن أسلم : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله تعالى عنها ، وكانت أول من هاجر من النساء يعني بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد قبلت ، فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه يعني . والله أعلم . بعد فراقه زينب ، فسخطت هي وأخوها ، وقالوا : إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجنا عبده ، قال ، فنزل القرآن : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾ إلى آخر الآية (٣) .

وروى الإمام أحمد عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها فقال : حتى أستمروا أمها ، فقال صلى الله عليه وسلم : « نعم إذا » قال ، فانطلق الرجل إلى امرأته ، فذكر لها ، فقالت : لاها الله إذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيباً ، وقد منعناها من فلان وفلان ، قال : والجارية في سترها تسمع ، قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقالت الجارية : أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ، إن كان قد رضيكم فأنكحوه ، قال : فكانها جلت عن أبيها ، وقالوا : صدقت ، فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن كنت رضيته فقد رضيته ، قال صلى الله عليه وسلم : « فإني قد رضيته » ، قال : فزوجها ، ثم فرغ أهل المدينة فركب جليبيب فوجوده قد قتل ، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم ، قال أنس رضي الله تعالى عنه : فلقد رأيته وإنها لمن أنفق بيت بالمدينة (٤) .

وذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب : أن الجارية لما قالت في خدرها : أتريدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ؟ نزلت هذه الآية : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

(١) رواه ابن جرير الطبري في التفسير [٢١٧٥٢] .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في التفسير [٢١٧٥٣] .

(٣) رواه أحمد في المسند [١٣٦/٣] وقال الأرنؤوط : صحيح ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد [٩/

٣٧١] وقال : رواه أحمد ورجال أحمد رجال الصحيح ، وابن حبان [٤٠٥٩] .

حكم مثبت في . . لماذا ؟ لأنه إذا قضى وحكم في أمر يكون قد منع

وقال ابن جريج عن طاووس قال : إنه سأل ابن عباس عن ركعتين بعد العصر ، فنهاه وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ فهذه الآية عامة في جميع الأمور ، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء ، فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَزْبًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] ، وفي الحديث : « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ^(١) ، ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، كقوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

وعلى هذا فإن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلاً ولا تطوعاً ولا موضع اختيار ، إنما هو الإيمان . . أو . . فلا إيمان . . ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] . ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣٥] إِنَّهُمْ كَنْ يَفْتَرُوا عَنكَ مِنْ أَمْرِ شَيْئًا وَلَا الْقَلِيلِينَ يَتَّبِعُهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ لَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ بِهِ لَكُنْتُمْ مِنَ الْغَائِبِينَ [الجمانية] .

والأمر إذن جد . . إنه أمر العقيدة من أساسها . . ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها . .

إن هذه البشرية - وهي من صنع الله - لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ؛ ولا تعالج أمراضها وعلاؤها إلا بالدواء الذي يخرج من يده - سبحانه - وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلقة ، وشفاء كل داء : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢] . ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] ولكن هذه البشرية لا تريد أن ترد القفل إلى صانعه ، ولا أن تذهب بالمريض إلى مبدعه ، ولا تسلك في أمر نفسها ، وفي أمر إنسانيتها ، وفي أمر سعادتها أو شقوتها ما تعودت أن تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدمها في حاجاتها اليومية الصغيرة . . وهي تعلم أنها تستدعي لإصلاح الجهاز مهندس المصنع الذي صنع الجهاز . ولكنها لا تطبق هذه القاعدة على الإنسان نفسه ، فترده إلى المصنع الذي منه خرج ، ولا أن تستفتي المبدع الذي أنشأ هذا الجهاز العجيب ، الجهاز الإنساني العظيم الكريم الدقيق اللطيف ، الذي لا يعلم مساريه ومداخله إلا الذي أبدعه وأنشأه : إنه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ . .

ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة . البشرية المسكينة الحائرة ، البشرية التي لن تجد

(١) رواه البخاري في قرة العينين [٤٥/٣٨/١] ، وذكره النووي في الأربعين النووية [٤١] وصححه

وحسنه الألباني في المشكاة [٢٨/١٦٧] .

الرأي فيه وأبقى التعصب الإيماني له ، فوفر طاقة الجدل واللجاجة إلى أن تكون طاقة نزوع وطاقة حركة وطاقة تطبيق وطاقة مراقبة .

وهناك أمور ترك الله سبحانه وتعالى للنفس الإنسانية التي تتميز بالعقل ، والعقل الذي مظهره الاختيار بين البديلات ترك لها مجالاً لتنمو فيه هذه الملكة ، وليكون الأمر بما تنتهي إليه هذه العقول المفكرة ، فيكون الإسلام قد جمع بين الميزتين .

ميزة الحسم والبت في الأمور التي لا يريد أن يؤرجحها أو يجعلها متراخية حتى لا تفوت الفائدة ، وأمور تركها لأنها إن جاءت على أى وجه من الوجوه فلا يحصل منها شيء من الضرر .

في القضية الأولى يقول : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

وفي القضية الثانية : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظُّونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] .

الرشد ، ولن تجد الهدى ، ولن تجد الراحة ، ولن تجد السعادة ، إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير ، كما ترد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير ! ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدثاً هائلاً في تاريخها ، ونكبة قاصمة في حياتها ، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيراً في كل ما ألم بها من نكبات . . لقد كان الإسلام قد تسلم القيادة بعد ما فسدت الأرض ، وأسنت الحياة ، وتعفنت القيادات ، وذقت البشرية الويلات من القيادات المتعفنة ؛ و ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [الروم : ٤١] .

وليس للمسلم أن يقرر غير ما قرره الله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ . . وكلمة الله باقية لا تغيرها الملابس والظروف ! إن دين الله ليس راية ولا شعاراً ولا واثناً ! إن دين الله حقيقة تمثل في الضمير وفي الحياة سواء . تمثل في عقيدة تعمر القلب ، وشعائر تقام للتعبيد ، ونظام يصرف الحياة . . ولا يقوم دين الله إلا في هذا الكل المتكامل ؛ ولا يكون الناس على دين الله إلا وهذا الكل المتكامل ممثل في نفوسهم وفي حياتهم . . وكل اعتبار . .

ومن هذا البيان ينجلي أن هذا النص القرآني : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ . . أشمل وأوسع وأبعد مدى من أى حادث خاص يكون قد نزل فيه . وأنه يقرر كلية أساسية ، أو الكلية الأساسية في منهج الإسلام !

نظل نستنبط ونظل نتفاهم و... ﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

ولذلك كان يُقال للمشرع الثاني الذي هو رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام يقول له الرجل : « أذلك أمر نزل به حكم من السماء » ؟
يعنى : إن يكن قد نزل فيه حكم من السماء فلا رأي لنا ، لأن السماء لها علم ليس لنا . وإن لم يكن أمرا من السماء . وهي المكيدة والحرب .
نشير عليك بكذا وكذا وكذا (١) .

هذا يمثل الرأي الحازم ، وهذا يمثل الرأي المستنبط .
فمن أراد ديناً أو مذهباً يحقق الأمرين معاً ؛ يجده فى الدين الإسلامى .

ويمتاز الإسلام بأن الدكتاتورية فيه . إن جازت هذه التسمية . ليست لمساوٍ ، يعنى ليس دكتاتورا من جنسك سيكون دكتاتورا عليك .
لأن أنا وأنت محكومين لإله آمنا جميعاً به وأنه إله فوقنا قدرة وحكمة وعلمنا .

(١) فى السيرة النبوية لابن هشام [١٦٨/٣] قال ابن إسحاق : فحدثت عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا : أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أمزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟

قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعمورت ، وبنى حوضا على القلب الذى نزل عليه ، فملئ ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية .

إذن يعطيني ميزة الدكتاتورية بدون جبروت الدكتاتورية ، بدون استعلاء الدكتاتورية ، بدون إذلال الدكتاتورية .

فهكذا يجب أن ينظر علماء الإسلام إلى قضايا الإسلام .

فلا يجعلوا الأمور التي زحزحها الله عن مجال الحكم الحازم البت الذي لا اختيار فيه ، لا ينقلوا هذا إلى المسائل التي ترك الله فيها المشورة والاختيار .

وآفة وجود المذاهب أن الأمر الذي ترك الله فيه المشورة والاختيار والاجتهاد جعل عند كل طائفة أمراً واجب الحزم فيه والبت ، وأن الذي يخالف رأيهم يكون مخالفاً للإسلام .

نقول له : أنت لم تفهم الإسلام .

قضايا الإسلام يجب أن تؤخذ من زاويتين :

الزاوية الأولى : أمور محكومة محسومة مبتوت فيها .

والزاوية الثانية : أمور متروكة لنا ؛ لنستنبط ونجتهد .

وإلا لو أراد الله الدين كله قالب حديد لا نتحرك فيه لما عز ذلك عليه ، ولأمكن أن يضع لنا ما يشاء سبحانه .

ولكن في ذلك إهدار لما خلق الله من الاختيار بين البديلات للعقل ، ولم يكن ذلك إلا إذا قهرنا قهراً على شيء كما قهر الحيوانات والجمادات إلى أشياء ، سمينها مسخرة لا رأي لها .

وتلك تنافي الطبيعة التي كرم الله بها الإنسان فجعل له أن يختار .

إذن آفة المسلمين الذين يمثلون المذاهب ويمثلون الطائفية أن يجعلوا الأمر الذي أباح الله فيه الرأي وأباح فيه الاجتهاد وأباح فيه ترجيح رأي على رأي ؛ جعلوه أمراً محسوماً مبتوتاً . وليته كان محسوماً ومبتوتاً فيه من الله الذي نؤمن به فوقنا جميعاً ، ولكنه محسوم ومبتوت من جنس البشر . لو أراد الله ما استطعنا أن نختلف فيه .

إذن فتلك هي الآفة التي جرأت علينا الخصوم ليقولوا : إن الإسلام الآن لم يعد دين تجميع وإنما عاد إلى دين تفريق .

كان الأول جميعاً : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] إذن المسلمون الآن هم الذين فتحوا هذا الباب ، وجعلوهم يجدون نوافذ يدخلون منها علينا ليهدموا لنا قضية إيماننا وقضية إسلامنا .

كلامنا الآن ليس مع هؤلاء الذين يريدون بنا الكيد ، ولكن مع القوم الذين فتحوا الأبواب والمجال لهؤلاء ليدخلوا .

نقول لهم : راجعوا فهم دينكم من جديد واعلموا أن القضايا التي بت الله فيها وحسمها قضايا :

لو ترك الله فيها لنا أمر الاجتهاد والاختيار لفسدت السماوات والأرض .

وأمر ترك الله فيها لنا الاختيار لأنها على أي لون لن نجتمع إلا على شيء يكون خيراً .

وضربنا كثيراً من الأمثال على هذه المسائل في قضية واحدة مجتمعة ، لم نجيء بشيء من قضية على شيء من قضية أخرى ، ولكن في قضية واحدة مجتمعة ، وفي حياة المشرع صلى الله عليه وسلم ، من منطق المشرع الأعلى سبحانه وتعالى في آية واحدة ، فتلك نص وهذا تطبيق .

نقول لهم : تعالوا! انظروا إلى قول الحق سبحانه وتعالى في هذه القضية التي هي قضية الدخول إلى الصلاة .

الدخول إلى الصلاة لازم أن نتوضأ . هذه آية الوضوء ؛ وآية الوضوء فيها المنهج كله يقول تعالى : ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ .

آه لو فطنوا إلى التعميم في الوجوه وعدم التقييد فيها ، وإلى التقييد في

الأيدي بقوله : ﴿ **إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ إذن لأراحوا واستراحوا ، وعلموا منهج الله كما يريد الله .

الوجوه لم يحددها الله : ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ وكفى ، لم يجيء فيها بغاية ، لم يجيء فيها بتحديد ؛ لأن الوجوه لا اختلاف عند العربي في مفهومها . الوجه مفهوم بالإجماع .

ولكن الأيدي يقع فيها خلاف . مرة تطلق ويراد بها : « الكف » .

ومرة تطلق ويراد بها من : « الأنامل إلى المرافق » .

وهذا إطلاق يقال له : « يد » وهذا إطلاق يقال له : « يد » .

فلو أن الله سبحانه جلت قدرته ترك التقييد فيها : ﴿ **إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ لكان لمجتهد أن يقول اليد : الكف ، ولمجتهد أن يقول : إلى هنا ، ولمجتهد أن يقول : إلى هنا .

وماذا يكون لو أننا تركنا الأمر اجتهداً لكل مجتهد ؟!

نقول : لا ، الله أرادها على وجه محدود .

مادام يريد على وجه محدود ، وفي الآية ما ينقلها إلى وجه غير محدود ، فتحيدها دليل على أن هذا القدر هو المراد للمشرع ، فحسم فيها حسماً لا مجال فيه للخلاف ﴿ **إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ ؛ إذن انتهى كل شيء .

الذي يقول : لا ، هنا ، لا يصح ، والذي يقول : لا ؛ هنا ، لا يصح . فتكون ﴿ **إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ .

إذن . . حين يريد الله حكماً محدداً يخرج من الإبهام ؛ أى : يأتي بالنص الذي لا يمكن أن يختلف فيه أحد .

ثم قال بعد ذلك : ﴿ **وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ** ﴾ ، لم يقل : « امسحوا رؤوسكم » كما قال : ﴿ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ** ﴾ .

هذا الغسل صحيح ، وذلك مسح . وهذا غسل نص عليه بالمادة . وهذا مسح نص عليه بالمادة . فالأمران فيهما خلاف .

في ذلك غير حصول الاسم ، فإذا حصل كفى . والوجه في اللغة مأخوذ من المواجهة ، وهو عضو مشتمل على أعضاء وله طول وعرض ؛ فحده في الطول من مبتدأ سطح الجبهة إلى متبهي اللحيين ، ومن الأذن إلى الأذن في العرض ، وهذا في الأمر ؛ وأما الملتحي فإذا اكتسى الذقن بالشعر فلا يخلو أن يكون خفيفا أو كثيفا ؛ فإن كان الأول بحيث تبين منه البشرة فلا بد من إيصال الماء إليها ، وإن كان كثيفا فقد انتقل الغرض إليه كشعر الرأس ؛ ثم ما زاد على الذقن من الشعر واسترسل من اللحية ، فقال سحنون عن ابن القاسم : سمعت مالكا سئل : هل سمعت بعض أهل العلم يقول إن اللحية من الوجه فليمر عليها الماء ؟ قال : نعم ، وتخليلها في الوضوء ليس من أمر الناس ، وعاب ذلك على من فعله .

وذكر ابن القاسم أيضا عن مالك قال : يحرك المتوضئ ظاهرا لحيته من غير أن يدخل يده فيها ؛ قال : وهي مثل أصابع الرجلين .

قال ابن عبدالحكم : تخليل اللحية واجب في الوضوء والغسل .

قال أبو عمر : روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خلل لحيته في الوضوء من وجوه كلها ضعيفة . وذكر ابن خويز مناد : أن الفقهاء اتفقوا على أن تخليل اللحية ليس بواجب في الوضوء ، إلا شيئا روي عن سعيد بن جبير ؛ قوله : ما بال الرجل يغسل لحيته قبل أن تثبت فإذا ثبتت لم يغسلها ، وما بال الأمر يغسل ذقنه ولا يغسلها ذو اللحية ؟ قال الطحاوي : التيمم واجب فيه مسح البشرة قبل نبات الشعر في الوجه ثم سقط بعده عند جميعهم . فكذلك الوضوء .

قال أبو عمر : من جعل غسل اللحية كلها واجبا جعلها وجها ؛ لأن الوجه مأخوذ من المواجهة ، والله قد أمر بغسل الوجه أمرا مطلقا لم يخص صاحب لحية من أمر ؛ فوجب غسلها بظاهر القرآن لأنها بذلك من البشرة .

قلت : واختار هذا القول ابن العربي وقال : وبه أول ؛ لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل لحيته ، خرجه الترمذي وغيره ؛ فعين المحتمل بالفعل . وحكى ابن المنذر عن إسحاق أن من ترك تخليل لحيته عامدا أعاد .

وروي الترمذي عن عثمان بن عفان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته ؛ قال ؛ هذا حديث حسن صحيح ؛ قال أبو عمر : ومن لم يوجب غسل ما انسدل من اللحية ذهب إلى أن الأصل المأمور بغسله البشرة ، فوجب غسل ما ظهر فوق البشرة ، وما انسدل من اللحية ليس تحته ما يلزم غسله ، فيكون غسل اللحية بدلا منه . واختلفوا أيضا في غسل ما وراء العذار إلى الأذن ؛ فروى ابن وهب عن مالك قال : ليس ما خلف الصدغ الذي من وراء شعر اللحية إلى الذقن من الوجه . قال أبو عمر : لا أعلم أحدا من فقهاء الأمصار قال بما رواه ابن وهب عن مالك . وقال أبو حنيفة وأصحابه : البياض بين العذار والأذن من الوجه . وغسله واجب ؛ ونحوه قال الشافعي وأحمد . وقيل : يغسل =

= البياض استحباباً ؛ قال ابن العربي : والصحيح عندي أنه لا يلزم غسله إلا للأمر لا للمعذر .

قلت : وهو اختيار القاضي عبد الوهاب ؛ وسبب الخلاف هل تقع عليه المواجهة أم لا ؟ والله أعلم . وبسبب هذا الاحتمال اختلفوا هل يتناول الأمر بغسل الوجه باطن الأنف والفم أم لا ؟ فذهب أحمد بن حنبل وإسحاق وغيرهما إلى وجوب ذلك في الوضوء والغسل ، إلا أن أحمد قال : يعيد من ترك الاستنشاق في وضوئه ولا يعيد من ترك المضمضة . وقال عامة الفقهاء : هما سنتان في الوضوء والغسل ؛ لأن الأمر إنما يتناول الظاهر من دون الباطن ، والعرب لا تسمي وجهها إلا ما وقعت به المواجهة ، ثم إن الله تعالى لم يذكرهما في كتابه ، ولا أوجبهما المسلمون ، ولا اتفق الجميع عليه ؛ والفرائض لا تثبت إلا من هذه الوجوه . وقد مضى هذا المعنى في « النساء » .

وأما العينان فالتناس كلهم مجمعون على أن داخل العينين لا يلزم غسله ، إلا ما روي عن عبدالله بن عمر أنه كان ينضح الماء في عينيه ؛ وإنما سقط غسلهما للتأذي بذلك والحرَج به ؛ قال ابن العربي : ولذلك كان عبدالله بن عمر لما عمي يغسل عينيه إذ كان لا يتأذى بذلك ؛ وإذا تقرر هذا من حكم الوجه فلا بد من غسل جزء من الرأس مع الوجه من غير تحديد ، كما لا بد على القول بوجوب عموم الرأس من مسح جزء معه من الوجه لا يتقدر ؛ وهذا ينبي على أصل من أصول الفقه وهو : « أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » والله أعلم .

واختلف الناس في دخول المرافق في التحديد ؛ فقال قوم : نعم ؛ لأن ما بعد ﴿ إِنْ ﴾ إذا كان من نوع ما قبلها دخل فيه ؛ قال سيبويه وغيره ، وقد مضى هذا في « البقرة » مبيناً . وقيل : لا يدخل المرفقان في الغسل ؛ والروايتان مرويتان عن مالك ؛ الثانية لأشهب ؛ والأولى عليها أكثر العلماء وهو الصحيح ؛ لما رواه الدارقطني عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه . وقد قال بعضهم : إن ﴿ إِنْ ﴾ بمعنى مع ، كقولهم : الذود إلى الذود إبل ، أي مع الذود ، وهذا لا يحتاج إليه كما بيناه في « النساء » ؛ ولأن اليد عند العرب تقع على أطراف الأصابع إلى الكتف ، وكذلك الرجل تقع على الأصابع إلى أصل الفخذ ؛ فالمرفق داخل تحت اسم اليد ، فلو كان المعنى مع المرافق لم يفد ، فلما قال : ﴿ إِنْ ﴾ اقتطع من حد المرافق عن الغسل ، وبقيت المرافق مغسولة إلى الظفر ، وهذا كلام صحيح يجري على الأصول لغة ومعنى ؛ قال ابن العربي : وما فهم أحد مقطع المسألة إلا القاضي أبو محمد فإنه قال : إن قوله ﴿ إِنْ الْمَرَافِقِ ﴾ حد للمتروك من اليدين لا للمغسول فيه ؛ ولذلك تدخل المرافق في الغسل .

قلت : وما كان اليد والرجل تنطلق في اللغة على ما ذكرنا كان أبو هريرة يبلغ بالوضوء .

إبطه وساقه ويقول : سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول : « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

قال القاضي عياض : والناس مجمعون على خلاف هذا ، وألا يتعدى بالوضوء حدوده ؛ لقوله عليه السلام : « فمن زاد فقد تعدى وظلم » . وقال غيره : كان هذا الفعل مذهباً له ومما انفرد به ، ولم يحكه عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما استنبطه من قوله عليه السلام : (أنتم الغر المحجلون) ومن قوله : « تبلغ الحلية » كما ذكر .

قوله تعالى : ﴿ **وَأَرْسَلَكُمْ** ﴾ قرأ نافع وابن عامر والكسائي ﴿ **وَأَرْسَلَكُمْ** ﴾ بالنصب ؛ وروى الوليد بن مسلم عن نافع أنه قرأ ﴿ **وَأَرْسَلَكُمْ** ﴾ بالرفع وهي قراءة الحسن والأعمش سليمان ؛ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة ﴿ **وَأَرْسَلَكُمْ** ﴾ بالخفض وبحسب هذه القراءات اختلف الصحابة والتابعون ؛ فمن قرأ بالنصب جعل العام « اغسلوا » وبني على أن الفرض في الرجلين الغسل دون المسح ، وهذا مذهب الجمهور والكافة من العلماء ، وهو الثابت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، واللازم من قول في غير ما حديث ، وقد رأى قوما يتوضأون وأعقابهم تلوح فنادى بأعلى صوته « ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء » . ثم إن الله حدهما فقال : ﴿ **إِلَى الْكَعْبَيْنِ** ﴾ كما قال في اليدين : ﴿ **إِلَى الرَّفْرَفَيْنِ** ﴾ فدل على وجوب غسلهما ؛ والله أعلم . ومن قرأ بالخفض جعل العامل الباء ، قال ابن العربي : اتفقت العلماء على وجوب غسلهما ، وما علمت من رد ذلك سوى الطبري من فقهاء المسلمين ، والرافضة من غيرهم ، وتعلق الطبري بقراءة الخفض .

قلت : قد روي عن ابن عباس أنه قال : الوضوء غسلتان ومسحتان . وروي أن الحجاج خطب بالأهواز فذكر الوضوء فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ، فإنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيهما . فسمع ذلك أنس بن مالك فقال : صدق الله وكذب الحجاج ؛ قال الله تعالى : ﴿ **وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْسَلَكُمْ** ﴾ . قال : وكان إذا مسح رجله بلهما ، وروي عن أنس أيضاً أنه قال : نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل . وكان عكرمة يمسح رجله وقال : ليس في الرجلين غسل إنما نزل فيه المسح . وقال عامر الشعبي : نزل جبريل بالمسح ؛ ألا ترى أن التيمم يمسح فيه ما كان غسلاً ، ويلغني ما كان مسحاً .

وقال قتادة : افترض الله غسلتين ومسحاً . وذهب ابن جرير الطبري إلى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح ، وجعل القراءتين كالروايتين ؛ قال النحاس : ومن أحسن ما قيل فيه ؛ أن المسح والغسل واجبان جميعاً ، فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض ، والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب ، والقراءتان بمنزلة آيتين .

قال ابن عطية : وذهب قوم ممن يقرأ بالكسر إلى أن المسح في الرجلين هو الغسل . قلت : وهو الصحيح ؛ فإن لفظ المسح مشترك ، يطلق بمعنى المسح ويطلق بمعنى الغسل ؛ قال الهروي : أخبرنا الأزهرى أخبرنا أبو بكر محمد بن عثمان بن سعيد الداري =

= عن أبي حاتم عن أبي زيد الأنصاري قال : المسح في كلام العرب يكون غسلا ويكون مسحا ، ومنه يقال للرجل إذا توضأ فغسل أعضاءه : قد تمسح ؛ ويقال : مسح الله ما بك إذا غسلك وطهرك من الذنوب ، فإذا ثبت بالنقل عن العرب أن المسح يكون بمعنى الغسل فترجح قول من قال : إن المراد بقراءة الخفض الغسل ؛ بقراءة النصب التي لا احتمال فيها ، وبكثرة الأحاديث الثابتة بالغسل ، والتعود على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تحصى كثرة أخرجها الأئمة ؛ ثم إن المسح في الرأس إنما دخل بين ما يغسل لبيان الترتيب على أنه مفعول قبل الرجلين ، التقدير فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم ؛ فلما كان الرأس مفعولا قبل الرجلين قدم عليهما في التلاوة والله أعلم ، لا أنهما مشتركان مع الرأس لتقدمه عليهما في صفة التطهير .

وقد روى عاصم بن كليب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : قرأ الحسن والحسين رحمة الله عليهما ﴿ وَأَرْسَلَكُمْ ﴾ فسمع علي ذلك وكان يقضي بين الناس فقال : ﴿ وَأَرْسَلَكُمْ ﴾ هذا من المقدم والمؤخر من الكلام .

وروى أبو إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : اغسلوا الأقدام إلى الكعبين . وكذا روي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قرآ ﴿ وَأَرْسَلَكُمْ ﴾ بالنصب . وقد قيل : إن الخفض في الرجلين إنما جاء مقيدا لمسحهما لكن إذا كان عليهما خفان ، وتلقينا هذا القيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يصح عنه أنه مسح رجله إلا وعليهما خفان ، فبين صلى الله عليه وسلم بفعله الحال التي غسل فيه الرجل والحال التي تمسح فيه ، وهذا حسن . فإن قيل : إن المسح على الخفين منسوخ بسورة « المائدة » - وقد قال ابن عباس ، ورد المسح أبو هريرة وعائشة ، وأنكره مالك في رواية عنه - فالجواب : أن من نفي شيئا وأثبت غيره فلا حجة للنافي ، وقد أثبت المسح على الخفين عدد كثير من الصحابة وغيرهم ، وقد قال الحسن : حدثني سبعون رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم مسحوا على الخفين ؛ وقد ثبت بالنقل الصحيح عن همام قال : قال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه ؛ قال إبراهيم النخعي : وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم توضأ ومسح على خفيه .

وقال إبراهيم النخعي : كان يعجبهم هذا الحديث ؛ لأن إسلام جرير كان بعد نزول « المائدة » وهذا نص يرد ما ذكره وما احتجوا به من رواية الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن جريرا أسلم في ستة عشر من شهر رمضان ، وأن « المائدة » نزلت في ذي الحجة يوم عرفات ، وهذا حديث لا يثبت لوهاه ؛ وإنما نزل منها يوم عرفة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : 3] على ما تقدم ؛ قال أحمد بن حنبل : أنا استحسن حديث جرير في المسح على الخفين ؛ لأن إسلامه كان بعد نزول « المائدة » وأما ما روي عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما فلا يصح ، أما عائشة فلم يكن عندها بذلك علم ؛ =

ولذلك ردت السائل إلى علي رضي الله عنه وأحاطته عليه فقالت : سله فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ الحديث .

وأما مالك فما روي عنه من الإنكار فهو منكّر لا يصح ، والصحيح ما قاله عند موته لابن نافع قال : إني كنت آخذ في خاصة نفسي بالطهور ولا أرى من مسح مقصرا فيما يجب عليه . وعلى هذا حمل أحمد بن حنبل ما رواه ابن وهب عنه أنه قال : لا أمسح في خضر ولا سفر .

قال أحمد : كما روي عن ابن عمر أنه أمرهم أن يمسحوا خفافهم وخلع هو وتوضأ وقال : حبيب إلى الوضوء ؛ ونحوه عن أبي أيوب . وقال أحمد رضي الله عنه : فمن ترك ذلك على نحو ما تركه ابن عمر وأبو أيوب ومالك لم أنكره عليه ، وصلينا خلفه ولم نعبه ، إلا أن يترك ذلك ولا يراه كما صنع أهل البدع ، فلا صلى خلفه . والله أعلم .

وقد قيل : إن قوله ﴿ **وَأَسْمِكُمْ** ﴾ معطوف على اللفظ دون المعنى ، وهذا أيضا يدل على الغسل فإن المراعى المعنى لا اللفظ ، وإنما خفض للجوار كما تفعل العرب ؛ وقد جاء هذا في القرآن وغيره قال الله تعالى : ﴿ **يُرْسِلُ عَلَيْكَ شَرَّاطٍ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٍ** ﴾ [الرحمن : ٣٥] بالجبر لأن النحاس الدخان . وقال : ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ** ﴾ **فِي تَوْحِيدٍ مَّعْظُومٍ** ﴾ [البروج] بالجبر . قال امرؤ القيس :

كبير أناس في بجاد مزمل

فخفض مزمل بالجوار ، وأن المزمل الرجل وإعرابه الرفع ؛ قال زهير :

لعب الزمان بها وغيرها بعدي سوافي المور والقطر

قال أبو حاتم : كان الوجه القطر بالرفع ولكنه جره على جوار المور ؛ كما قالت العرب : هذا جحر ضب خرب ؛ فجروه وإنما هو رفع . وهذا مذهب الأخفش وأبي عبيدة ورده النحاس وقال : هذا القول غلط عظيم ؛ لأن الجوار لا يكون في الكلام أن يقاس عليه ، وإنما هو غلط ونظيره الإقواء .

قلت : والقاطع في الباب من أن فرض الرجلين الغسل ما قدمناه ، وما ثبت من قوله عليه الصلاة والسلام « ويل للأعقاب ببطون الأقدام من النار » فخوفنا بذكر النار على مخالفة مراد الله عز وجل ، ومعلوم أن النار لا يعذب بها إلا من ترك الواجب ، ومعلوم أن المسح ليس شأنه الاستيعاب ولا خلاف بين القائلين بالمسح على الرجلين أن ذلك على ظهورهما لا على بطونهما ، فثبت بهذا الحديث بطلان قول من قال بالمسح ، إذ لا مدخل لمسح بطونهما عندهم ، وإنما ذلك درك بالغسل لا بالمسح . ودليل آخر من وجهة الإجماع ؛ وذلك أنهم اتفقوا على أن من غسل قدميه فقد أدى الواجب عليه ، واختلفوا فيمن مسح قدميه ؛ فاليقين ما أجمعوا عليه من دون ما اختلفوا فيه . ونقل الجمهور كافة عن كافة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه كان يغسل رجله في وضوئه مرة واثنين وثلاثا حتى ينقيهما ؛ وحسبك بهذا حجة في الغسل مع ما بيناه ، فقد وضح وظهر أن قراءة =



= الخفض المعني فيها الغسل لا المسح كما ذكرنا ، وأن العامل في قوله ﴿ **وَأَرْطَقْنَكُمْ** ﴾ قوله : ﴿ **فَأَغْسِلُوا** ﴾ والعرب قد تعطف الشيء على الشيء بفعل ينفرد به أحدهما تقول : أكلت الخبز واللبن أى وشريت اللبن ؛ ومنه قول الشاعر : علفتها تبنا وماء باردا وقال آخر :
ورأيت زوجك فى الوغى متقلدا سيفاً ورمحاً
وقال آخر :

... وأطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها

وقال آخر :

شراب ألبان وتمر وإقط

التقدير : علفتها تبنا وسقيتها ماء . ومتقلدا سيفاً وحاملاً رمحاً . وأطفلت بالجلهتين ظباؤها وفرخت نعامها ؛ والنعام لا يطفل إنما يفرخ . وأطفلت كان لها أطفال ، والجلهتان جنيتا الوادى . وشراب ألبان وأكل تمر ؛ فيكون قوله : ﴿ **وَأَشْكُوا بُرْءُوكُمْ** ﴾ عطف بالغسل على المسح حملاً على المعنى والمراد الغسل ؛ والله أعلم .